الأخلاق الولائية

إرشادات ومواعظ سلوكية

من محضر الإمام الخامنئي دام ظله

مركز باء للدراسات

٢٠٠٣م

«إنّ القيام بالمهمات الكبرى يتطلب دائماً إتكالاً على الله سبحانه وإيماناً عاماً من قبل الشعب، وتبقى الثروة والسلاح المتطور والأساليب السياسية سنداً ضعيفاً للنهوض بتلك المهام.. لقد خاطب الله سبحانه رسوله الأكرم ﷺ بعد أن حمّله أكبر مسؤولية في التاريخ الإنساني الطويل قائلاً: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾* . ومن هنا فإننا نؤمن إيماناً عميقاً بأنه عندما تواجه القوى المادية الحق، فإنها ستبدو على حقيقتها جوفاء واهية، ذلك أنها على الباطل، وعندما يتسلح الشعب بسلاح الإيمان والحق والإرادة، فسوف تتراجع قوى الباطل لدى أول مواجهة[1].

الإمام الخامنئي

---

* الأنفال: ٦٢.

(١) حديث الولاية، الجزء الأول (ترجمة كمال السيد، دار الولاية للثقافة والإعلام ص ١٦٦).

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخلاق ولائية كتاب جديد من سلسلة فكر الإمام الخامنئي التي وعد مركز بـاء للدراسات أن يعمل على إتمامها ليتسنى للقارئ العربي الإطلاع على قمة ما وصل إليه الفكر الإسلامي.

يمثل فكر قائد الثورة الإسلامية عصارة تجربة واسعة، ربما لم يعاين مثلها غيره من المفكرين الإسلاميين كافة. فعلينا لا نجد عبر التاريخ الممتد لعصر الغيبة من العلماء من تسنى له أن يدخل في عمق الحياة الإجتماعية والسياسية والثقافية للمسلمين كما حصل للسيد علي الخامنئي بعد الإمام الخميني قدس سره.

وهذه التجربة الواسعة والمتجذرة إنما يخوضها هذا العلاّمة من بابها الكبير، ألا وهو قيادة المجتمع الإسلامي وحمل راية الإسلام دفاعاً عن مبادئه وقيمه ومشروعه وسعياً لنشره على الدين كله ولو كره المشركون.

وتكون النتيجة أن يتمكن الإمام الخامنئي من التعرف عن خبرة على هموم ومشاكل وآفات هذا المجتمع الذي يغص بآلامه ومحنه، ويقدم الحلول النابعة من

الإسلام الأصيل بلغة الأنبياء والقرآن وهي اللغة التي تجمع بين العمق والدقة والأصالة والسهولة والبلوغ.

إنّ من يطالع هذه الوصايا الأخلاقية التي صدرت من هذا القائد في مناسبات وظروف متعددة وكثيرة يصل إلى النتيجة التي ذكرناها ويدرك جانباً من أبعاد هذه الشخصية التي وصفها الإمام الخميني بأنها كالشمس التي تضيء ما حولها.

أولئك الذين يفتشون عن نظرية الإسلام الأخلاقية ورؤيته العرفانية السلوكية إذا كانوا من طلاب الحقيقة والباحثين عنها دون تحديد أو تقييد سيتمكنون من رؤية هذا المشهد الرائع النابض بالحياة، وإذا كانوا ممن امتلك البصيرة والوعي بمشاكل المجتمع وآفاته سيدركون مدى الحكمة التي يتمتع بها هذا الإنسان العظيم.

إنّ عنوان الكتاب يكشف عن ضرورة التحاق البرامج الأخلاقية والمسلكية بخط الولاية، وعدم صحة الفصل بينهما. وخصوصاً إذا اطلعنا على واقع مجتمعنا الذي عانى من انحراف المذاهب السلوكية وانزلاقها مع الخطوط السياسية التائهة.

فالأخلاق التي تعني هنا تلك القيم والكمالات النفسية العظيمة التي بعث رسول الله ﷺ من أجل إتمامها واستكمالها في النظرية والتطبيق لا تنفصل عن الرؤية الكونية الإعتقادية للإسلام بل تنبع وتتغذى من نبعها.

كما أنها لا تنفصل عن البرنامج العملي لهذا الدين المعبر عنه بالشريعة بل تكون إحدى أهم نتائج التمسك والتطبيق الصحيح له.

وإن كل من أدرك حقيقة الرؤية الكونية وذاق طعم الفقه الأصيل وتعرف على روح الشريعة يعلم أن الولاية هي الحبل الموصل بين العقيدة والشريعة.

فللولاية حضور قوي في الإمامة، ولها إمتداد نحو الشريعة ممثلة فيها جوهرها وفلسفتها العملية.

لهذا ولغيره لابد أن تكون الأخلاق ولائية..

الكتاب الحاضر عبارة عن كلمات مقتطفة من بيانات وخطب سماحة الإمام الخامنئي ترجمت إلى العربية بعد اختيارها من سلسلة «حديث ولايت» الصادر باللغة الفارسية والتي وصلت إلى تسعة أجزاء، وفيها مجموع ما قاله أو كتبه الإمام الخامنئي طوال الفترة الممتدة من بداية قيادته والى ثلاث سنوات. لم يصدر من هذه السلسلة سوى هذه الأجزاء التسعة التي عكست السنوات الأولى من قيادته.. وبانتظار إتمام صدور هذه السلسلة نصدر الجزء الأول من تعاليمه الأخلاقية وإرشاداته السلوكية.

من المهم الإشارة أيضاً إلى أن بعض المقاطع الموجودة في هذا الكتاب قد أخذت من بعض الخطب التي تمت ترجمتها إلى العربية وصدرت عن دار الولاية في مدينة قم المقدسة...

إنّ مركز باء يتقدم بالشكر من المترجم العزيز وكذلك من دار الولاية التي سمحت لنا بالحصول على مجموع الخطب المعربة، كما نشكر كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب ليكون في متناول القراء المتلهفين على مطالعة الفكر الأصيل...

الله ملاذنا

«أوصي جميع إخواني وأخواتي المصلّين بتقوى الله وذكره في كل مراحل الحياة، والإستعاذة به واللجوء إليه في المشاكل والملمّات، وأن لا ينسوا فضل الله عليهم في كل أعمالهم وسعيهم وجهادهم.[1]

تضحية الجرحى

«أذكّر أعزائي المضحين من جرحى الحرب المفروضة الحاضرين في هذا المحفل بهذه النقطة وهي: أن كل ما نهبه في سبيل الله هو ذخر لنا، ويعود نفعه في الحقيقة إلى ذات كل شخص، وأن كل ما نحاول الإحتفاظ به لن يبقى لنا في الواقع، وشأنه كسائر الأشياء في الدنيا، كلها إلى زوال وفناء، وإني لأعتقد بذلك إعتقاداً راسخاً لا تشوبه في ذهني شائبة.

قد ذكر التاريخ أن رسول الله ﷺ ذبح شاة، فحضر بعض الفقراء والمساكين وطلبوا من لحمها، وراح النبي يهب من لحمها للفقراء حتى لم يبق منها سوى كتف، فحمله رسول الله إلى عياله، فقالت إحدى أزواجه: لم يبق لنا من الشاة غير كتفها؟ فأجاب النبي بما مضمونه: كلا! لقد حِزناها ولم نفقد سوى كتفها لأننا طعمناها، وما أنفقناه هو الذي يبقى لنا.. واعلموا أن ما وهبتم من أبدانكم وأعضائكم في سبيل الحرب والبناء وخدمة عباد الله والسعي من أجل الآخرين، وسائر أعمال الخير قولاً وعملاً، له ثوابه؛ وكلما كان العمل كبيراً كان أجره مضاعفاً.[2]

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٣١٩.

الأجر الجزيل

«إنّ المرء لا يحصل على الأجر الجزيل دون مشقة وصعوبة، لا تتوهموا بأن بإمكان الإنسان أن يحصل على الثواب العظيم دون معاناة وتحمل للمشاق. كلا! لأن أفضل الأعمال أحمزها».[1]

إذا صلح الناس صلحت حياتهم وحسنت

«إنّ جميع المفاسد والشرور في العالم، وتلك التي تضج بها الحياة، ترجع إلى المفاسد والشرور الموجودة في بواطن الناس. فلو صلح الناس، لصلحت حياتهم وحسُنت.

إنّ الأهواء النفسانية والشيطان الباطني إذا لم يتسلطا على أعمال الإنسان، فسوف تتلاءم شؤون الحياة وتجري وفق رضى الرحمن. ومثل هؤلاء الناس الذين تتحكم بهم أهواؤهم وشياطينهم هم الذين يجعلون ساحة الحياة والواقع القائم في العالم مسرحاً للمرارة والشيطنة والمفاسد، مرفقة بكل أنواع العذاب والألم والإضطراب والقلق.. وحيثما أوجد الناس تحولاً عميقاً في نفوسهم. فسوف يحدث أيضاً تحولات عميقة في حياتهم».[2]

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٢١ (أحمزها أي أشدها وأقواها).

(٢) حديث ولايت، الجزء الرابع، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، (١٩٩٧م) ص ٢.

العلاقة مع الله منشأ الخيرات

«يجب أن لا يستهان بالعلاقة مع الله، فجميع أمورنا رهن بهذه العلاقة.

إنّ هذه العلاقة هي كالدواء لقلوبنا تمنعها من أن تخشى العداوات. إنها العلاقة مع الله التي تملأ قلوبنا بمحبة المؤمنين وسالكي طريق الله فنغض الطرف عن اختلاف الرؤى والسلائق. إنها العلاقة مع الله والإتصال به التي تؤدي بنا إلى أن لا ندوس على الحقيقة كرامة لأهوائنا، وإلى أن لا نضحي بمصالح الإسلام في مقابل أهدافنا الشخصية. إنها العلاقة مع الله التي تؤدي إلى أن لا ننحرف عن صراط الله، وإلى أن لا نندم أو نتعب أو نملّ من طي هذا الطريق.

إنّ هكذا علاقة مع الله ممكنة دائماً، وليست بعيدة أو محالة أبداً».[1]

طريق الله قريب المسافة

«إنّ حياة الإنسان تمضي دوماً على طريقين متوازيين. أحد هذين الطريقين هو الذي يواصل العابرون عليه سلوكهم نحو الكمال، والآخر هو الذي يتسافل العابرون عليه ويتجهون نحو السقوط، نحو جهنم.

هذان الطريقان هما طريقان متلازمان ومتوازيان، وخط سيرهما متشابه بالكامل. أولئك الذين يتسافلون، يبتعدون عن نفس ذلك المقصد الذي يقترب منه سالكو

(١) المصدر السابق، ص ٧.

الطريق الآخر: إنهم يبتعدون عن الله تعالى ويقتربون من الشيطان والجحيم. وأولئك الذين يتكاملون، ويتجهون نحو النور، نحو الله، نحو النزاهة الأخلاقية والتوحيد وطهارة الروح، يبتعدون عن نفس ذلك المقصد عينه الذي تسقط نحوه تلك الفئة الأخرى.

إنّ هذين الطريقين متجاوران طوال رحلة المسير، والإنتقال من أحدهما إلى الثاني في منتهى السهولة. فلو أننا (لا سمح الله) كنا نسافر على الطريق الثاني ونتسافل على الصعيد الأخلاقي، ونتجه نحو السقوط، ثم أردنا أن ندخل إلى الطريق الآخر ونبدأ رحلة التكامل، فإن مثل هذا العمل ميسر في كل آن: (وأن الراحل إليك قريب المسافة).

إنّ الشخص الذي يريد أن يسافر إلى الله طريقه قريب، والمسافة التي عليه أن يقطعها كذلك.

إنكم بمجرد أن تخطوا خطوة واحدة، تنتقلون من على تلك الطريق التي يتسافل أهلها، وتدخلون إلى تلك الطريق التي يسرع أهلها نحو السعادة الأبدية، نحو النور، نحو منازل الصدّيقين والملأ الأعلى.[1]

(١) المصدر السابق، ص ٧ـ ٨.

السيطرة على الأهواء النفسية أسهل في شهر رمضان

«في تلك اللحظة التي نعقد العزم فيها على مخالفة أهوائنا النفسية، وهذا العجب والغرور والتبعية لشيطان النفس ـ وهي (الأمور) التي كان إمامنا العظيم يحذرنا منها دائماً طوال هذه السنوات العشر أو ما زاد، حيث كان في جميع المواقف يقول لنا ولكل الشعب الإيراني، خصوصاً نحن المسؤولين: إنتبهوا كي لا تقعوا أسرى هذه الأمور ـ في نفس تلك اللحظة، نكون قد وضعنا القدم ومن هذه المسافة القريبة، (حيث أن الراحل إليك قريب المسافة)، على تلك الطريق ـ طريق الصلاح والخير ـ وبدأنا التكامل. ومثل هذا الأمر قابل للتحقق في شهر رمضان. فالسيطرة على الأهواء النفسية أسهل من أي وقت مضى خلال شهر رمضان.[1]

يجب علينا أن نؤدي تكليفنا

«إنّ هذا الدرس أيضاً قد علّمنا الإمام إياه، وهو أن العمل والمبادرة ليسا لأجل تحقيق النتيجة. فالنتيجة تتمثل في تلك النيّة الخالصة التي تحملونها في نفوسكم حينما تبادرون للعمل. النتيجة هي مع الله، ونحن يجب علينا أن نؤدي تكليفنا. ولحسن الحظ، فإن القيام بالتكليف طوال هذه السنوات الإحدى عشر قد ترافق مع تحقيق النتائج».[2]

---

(١) المصدر السابق، ص ٨ ـ ٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠.

إصلاح النفس ضروري

«إنّ أهم الأمور على الإطلاق هي مسؤوليتنا نحن (علماء الدين): (**من نصب نفسه في الناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره**). فالمطلوب أولاً هو تأديب النفس، لأنه بدون هذا التأديب لا يمكن تحمل ثقل المسؤولية، وسيخرب كل شيء دفعة واحدة، وسيبقى الحمل على الأرض، والمخادع المتظاهر بالصلاح سوف يسيء لنفسه وللآخرين.

لو أردنا للحمل أن يصل إلى مقصده سالماً، يجب علينا جميعاً أن نصلح أنفسنا، وأنا نفسي أعتبر أنني بحاجة إلى الإصلاح أكثر من الجميع وقبل الجميع.[1]

الصيام سلّم إلى التقوى

«قال الله الحكيم في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾* أي أن الصيام سلّم إلى التقوى، ووسيلة لتأمين ذلك في وجودكم وقلوبكم.

والتقوى هي أن يكون الإنسان في جميع أعماله وأفعاله في حالة مراقبة، ليرى هل أن هذا العمل موافق لرضى الله والأوامر الإلهية أو لا.

هذه الحالة من المراقبة والإحتراز والحذر الدائم إسمها التقوى. وما يقابلها هو الغفلة وعدم اليقظة والعمل دون بصيرة.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٣.

* البقرة: ١٨٣.

إنّ الله تعالى لا يرضى بغفلة المؤمن وفقدانه للبصيرة في شؤون الحياة، ويجب على المؤمن أن يمتلك نظراً ثاقباً وقلباً يقظاً في جميع أمور الحياة.

إنّ هذا النظر الثاقب، والقلب اليقظ والواعي ينبهان الإنسان المؤمن إلى ضرورة أن لا تكون الأعمال التي يقوم بها مخالفة لإرادة الله، وطريقة الدين وأحكامه.. وفائدة الصيام تكمن في تحقيق هذا الأمر.

إنّ شعباً أو فرداً يتمتع بملكة التقوى سوف ينعم بجميع الخيرات والتقوى هي أن يكون الإنسان في جميع أعماله وأفعاله في حالة مراقبة، ليرى هل أن هذا العمل موافق لرضى الله والأوامر الإلهية أو لا.

هذه الحالة من المراقبة والإحتراز والحذر الدائم إسمها التقوى، وما يقابلها هو الغفلة وعدم اليقظة والعمل دون بصيرة.

الدنيا والآخرة. إنّ فائدة التقوى ليست فقط في كسب رضى الله ونيل الجنان يوم القيامة؛ المتّقي يرى فائدة التقوى في الدنيا أيضاً. إنّ المجتمع المتّقي، المجتمع الذي يختار طريق الله ويعبره بدقة، يتنعم بالعطايا الإلهية في الدنيا وينال العزة فيها، ويمنحه الله تعالى العلم والمعرفة بشؤونها أيضاً.

إنّ التقوى هي الوصية الأولى والأخيرة للأنبياء. ونحن نقرأ في سور مختلفة من القرآن أن أول كلام نقله الأنبياء إلى الناس كان الوصية بالتقوى. إنّ التقوى إذا توفرت، وجدت معها الهداية الإلهية كذلك.. والصوم هذا مقدمة التقوى.[1]

(١) المصدر السابق، ص ٤١ ـ ٤٣.

ببركة الدعاء ينشط المجتمع

«اغتنموا شهر رمضان. أحيوا أيامه بالصيام ولياليه بالذكر والدعاء. إنّ رابطة الدعاء هي رابطتكم القلبية مع الله. الدعاء معناه الطلب والمناجاة، والطلب معناه الأمل. فما لم تمتلكوا الأمل. لن تطلبوا من الله شيئاً. إنّ الإنسان اليائس هو الذي لا يطلب شيئاً.

إذاً، الدعاء يعني الأمل، الأمل بالإجابة، وهذا الأمل بالإجابة هو الذي يشغل القلوب وينوّرها. وببركة الدعاء ينشط المجتمع».[1]

شهر رمضان فرصة عروج روح الإنسان وتكاملها

«إنّ النقطة الأساسية في صوم رمضان هي أن ينال الإنسان ـ الذي قد حاصرته دواعي الغفلة عن الله وقطعت عليه طريقه، والذي تشده دوافع مختلفة نحو التسافل والسقوط ـ أن ينال فرصة يستطيع معها أن يسوق الروح ـ التي تميل إلى العروج والتكامل ـ إلى حيث الكمال، ويتقرب من الله، ويتخلّق بالأخلاق الإلهية. إنّ شهر رمضان هو فرصة من هذا القبيل.

بالطبع، توجد فرص أخرى غير فرصة شهر رمضان. فمثلاً، هذه الصلوات الخمس اليومية هي فرص نستطيع بالإستفادة منها أن نعرج إلى الله، وأن نصلح أنفسنا، وأن نبعد عنها الصدأ والإهتراء والغفلة والأمراض المعنوية، وشرط حصول ذلك هو أن تتنبهوا إلى ما تفعلونه أو تقولونه حال الصلاة».[2]

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٦١.

أدعية شهر رمضان تمنح الإنسان نورانية مضاعفة

«خلال هذه التسعة وعشرين يوماً أو الثلاثين يوماً، وبالإضافة إلى الصلوات الخمس المفروضة والنوافل التي يستطيع الإنسان دائماً أن يأتي بها، توجد أدعية تتضاعف بتلاوتها نورانية الإنسان. ولقد وضع أهل البيت عليهم السلام هذه الأدعية في متناولنا، وعلّمونا كيفية الحديث والمناجاة مع الله.

إنّ جوهر القضية يكمن في أننا قادرون على تحقيق هذا السير إلى الله في شهر رمضان. وقد أشرتُ في السابق إلى أنني كنت أحياناً أتشرف بزيارة الإمام قدس سره بعد انتهاء شهر رمضان، فكنتُ ألمس بشكل واضح أنه قد ازداد نورانية، وأن كلامه ونظراته وإشاراته وحركات يده، وآراءه قد اختلفت عما كانت عليه قبل بداية شهر رمضان، وإنه لمن الملفت أن يكون لدورة شهر رمضان بالنسبة إلى إنسان مؤمن عالي المقام كالإمام، كل هذا الأثر!»[1]

فلنسعى كي نبتعد عن المعاصي

«تعدّ مسألة ترك المعاصي المسألة الرئيسة لأجل نيل القرب من الله، بينما يعدّ القيام بالمستحبات والنوافل، وقراءة أدعية التوسل وسائر الأدعية الأخرى، من المسائل الفرعية.

إنّ النقطة الأساس في هذه القضية هي أن يحول الإنسان دون صدور الذنب والمعصية منه، وهذا ما يتطلب التقوى.

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٢ـ ٦٣.

إنّ التقوى هي أهم ـ أو لنقل ـ أول صفة ينبغي أن يتحلى بها الإنسان، وهي التي تمنع وقوعه في المعصية.

إنّ المعصية لتمنع الإنسان حتى من أن يوصل نفسه إلى شاطئ بحر المغفرة الإلهية العظيم، فضلاً عن أن يستفيد منه. إنّ المعصية لا تدعنا ننعم بحال الدعاء والحضور. إنّ المعصية لتمنعنا من أن نعيد النظر في أنفسنا ومن ثم أن نعيد بناءها. فلنسعى كي نبتعد عن المعصية؛ وهذا هو الشرط الأول».[1]

التكبر قاطع طريق الكمال

«إنّ إحدى الصفات الذميمة التي تقطع طريق الكمال، والتي قد نُبّهنا عليها وحُذّرنا منها في القرآن بعبارات مختلفة وفي أمكنة عديدة، وكذلك في روايات الأئمة عليهم السلام، هي صفة التكبر وتعظيم الأنا.

هذه الصفة تعد أمراً شديد الخطورة على ترقّي الإنسان في المدارج المعنوية.

إنّ الهدف النهائي لكل الأحداث التي وقعت منذ بداية التاريخ، أي مجيء الأنبياء عليهم السلام، والصراعات الكثيرة، وافتراق الحق والباطل إلى معسكرين، والحروب والمواجهات، والصبر على المشاكل، والجهود العظيمة لأهل الحق، بل وحتى تأسيس الحكومة الإسلامية واستقرار العدل ورسوخه، هو التكامل ووصول الإنسان

(١) المصدر السابق، ص ٦٣.

إلى مقصده ونيل القرب من الله، وسائر الأمور الأخرى هي بمثابة مقدمات لهذا الهدف.

إنّ التكبر حالة باطنية تؤدي بالإنسان إلى العجب.. ولعله من الممكن أن يقال بأن أعظم مانع وأسوأ مرض في طريق التكامل البشري هو عبارة عن تعظيم الأنا..»[1].

من الممكن حتى للإنسان العابد أن يتكبر!

«إنّ إحدى خصوصيات التكبر هي أن يرى الإنسان نفسه أرفع من الآخرين. وليست هذه الحالة هي حقيقة التكبر، وإنما هي من خصوصياته! وعندما يدقق الإنسان النظر في آيات القرآن، يلاحظ أن هذه الصفة قد أوليت عناية فائقة، حيث ذكرت بأسماء عدة من قبيل الإستعلاء والعلوّ والإستكبار والتكبر؛ وقد حُذّر المؤمن المجاهد من هذه الخصلة بشدة.

فأن يرى إنسان ما نفسه مقتدراً، هي حالة لا تختلف عن التكبر في شيء. إنّ هذه الحالة هي نوع من التكبر.

إنّ الإنسان الذي يشعر في داخله بالقدرة والإستغناء، أو يرى نفسه ذات علم ومعرفة، فإنه وبسبب اعتقاده الزائد بعلومه ومعارفه، يقيس كل ما يُعرض أمامه من معارف بها، فإن وافقتها كانت صائبة وإلا ردّها؛ وهذه أيضاً شعبة من شعب التكبر،

---

(١) المصدر السابق، ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

بل هي إحدى أخطر أنواعه. وكذلك هو حال الأشخاص من أهل العبادة والزهد والتوجه إلى الله والسلوك المعنوي، فإن التكبر قد يوجد في أعمالهم ونفوسهم. نفس ذلك العجب الذي ينشأ في باطن الإنسان العابد والزاهد جراء عبادته هو أيضاً أحد شعب التكبر.[1]

القدم الأولى في السفر المعنوي

«إنّ القدم الأولى على طريق السير إلى الله هي بالإخبات ورؤية الفقر المطلق للنفس، أي أن يرى الإنسان نفسه ـ حقيقة ودون أي مجاملة ـ فقيراً محتاجاً وقليلاً حقيراً بين يدي الله، في عين امتلاكه للقدرة والثروة والعلم، وتمتعه بالمزايا والخصال الحميدة، وفي ذروة حيازته للغنى والإستطاعة؛ وهذه هي روحية الكمال الإنساني، والتي ينبغي بالطبع أن تنال عن طريق الرياضة[2].

أنانية أبناء البشر منشأ جميع المفاسد في العالم

«إن أنانية أبناء البشر هي منشأ جميع المفاسد في العالم. فكل الظلم والتمييز، وكل الحروب وإراقة الدماء، وكل القتل الذي يحدث دون وجه حق، وكل ما يُسبغ المرارة على حياة الإنسان ويبعده عن سعادته ينبع من هذه الأنانية وهذا (الفرعون) الباطني الموجود في نفوسنا. ونحن إن لم نقم بترويض هذا الحصان الجامح في داخلنا ولجمه، سوف نكون عرضة لخطر شديد.[3]

---

(١) المصدر السابق، ص ١٠٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٣) المصدر السابق، ص ١٠٩.

مع كل تلك القدرة، كان سليمان خاضعاً لله!

«إنّ قصة سليمان بكاملها، من البداية وحتى النهاية ـ وبمقدار ما ذكره تعالى في هذه السورة ـ النمل ـ يدور حول هذه الفكرة والنكتة، وهي أن هذا الإنسان المقتدر والعظيم الشأن الذي لم يملك فقط مفاتيح القدرة المادية المعتادة، بل حاز مفاتيح القدرة المعنوية وكذلك القدرة غير المألوفة والمعتادة، وكان لديه من القدرة ما لا نظير له بحيث أن أحداً من قبله أو بعده لم تكن له مثل تلك الدولة والقدرة، مثل هذا الإنسان ـ ومع كل تلك القدرة ـ كان خاضعاً وخاشعاً لرب هذا العالم ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[1]»[2].

الإستغناء أساس طغيان الإنسان

«إنّ الأمر الذي يضع الإنسان في معرض الخطر هو نفس الشعور بالإستغناء وعدم الحاجة، والإحساس بالقدرة وإمكان الإعتماد على ما لديه من معارف. إنّ القرآن الكريم ينقل قصة قارون فيحدّث بأنه حينما كان البعض ينصحونه، كان يجيب بقوله: «.. إنما أوتيته على علم عندي».

هذا الغرور والفخر والتكبر والإعتماد على ما هو موجود في نفس الإنسان، هذا الإعتماد على ما هو قليل أو ليس بشيء، وتوهم الإنسان أن ذلك شيء كثير (وذا بال)، هو أعظم البلايا.[3]

---

(١) ص، الآية: ٣٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١١١.

(٣) المصدر السابق، ص ١١٥.

عدم التوجه إلى روح العبادة يؤدي إلى التحجر

«إنّ التوجه إذا فقد حال العبادة، وغفل الإنسان عن روح العبادة ـ وهي نفس تلك الحالة من العبودية والأنس بالله والتسليم له ـ فإن أخطاراً عديدة ستعترض هذا الإنسان في الطريق، والتحجر هو إحداها»[1]

فلنسعَى كي نحيي روح العبودية في نفوسنا

«إنّ روح العبادة هي العبودية لله ـ أيها الأخوة والأخوات، يجب علينا أن نسعى لإحياء روح العبودية في نفوسنا، والعبودية تعني التسليم لله، وتعني كسر ذلك الصنم الموجود في نفوسنا.

إنّ ضمنا الباطني ـ أي الأنا ـ يُظهر نفسه في كثير من الأوقات والظروف. فعندما تقع منافعك في خطر، ولا يقبل شخص ما كلامك، ويحدث أمر يوافق رغبتك ـ ولو خلافاً للشرع ـ أو تقف على مفترق طريقين ـ مصالحك الشخصية من جهة والتكليف من جهة أخرى ـ في مثل تلك المضائق والمزالق، تعلو تلك الأنا الباطنية برأسها وتظهر نفسها.

ولو تمكنا أن نروّض بالكامل هذه الأنا، هذا الهوى النفسي، هذا الفرعون الباطني، هذا الشيطان الموجود في داخلنا ـ أو أن نروّضه ولو بمقدار ما ـ فإن جميع الأمور سوف تصلح. وقبل أي شيء آخر، سوف نتحول إلى بشر حقيقيين، ونصل إلى الفلاح.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٣٦.

إنّ شهر رمضان هو مقدمة لهذا الغرض. فالصوم، والصلاة مع التوجه، والإنفاق، وحتى الجهاد في سبيل الله، هو لأجل الوصول إلى دنيا يكون الناس فيها عباداً لله.[1]

إنّ حصلّتم ثمرة ما في شهر رمضان فاحفظوها

«يجب على المسلمين في يوم العيد أن يمعنوا النظر إلى نفوسهم، ويتلمسوا الإستفادات التي قد حققوها من الضيافة الإلهية في شهر رمضان المبارك، فشهر رمضان هو شهر بناء النفس والتقوى. هل استطعنا عن طريق الصيام والعبادة في ذلك الشهر الشريف أن نضيف شيئاً ما إلى ذواتنا، وأن نبني أنفسنا، أم لا؟ قوموا بهذه المحاسبة في هذا اليوم، وإن وجدتم أنكم قد حصلتم ثمرة ما، فاسعوا كي تحافظوا عليها طوال العام.[2]

الإعتماد على الله

«يجب أن نعتمد على الله ونتكل عليه، وليس هذا سوى حقيقة العبودية والتسليم، فالتوكل، والثقة بالوعد الإلهي، ليسا أمراً يمكن أن يصدر من أي شخص كان. إنّ الذين بإمكانهم أن يعتمدوا على الله، هم وحدهم أولئك الذين يكون الله حاضراً في قلوبهم ووجدانهم.

إنّ الله إذا لم يملأ وجدان الإنسان وروحه، فسوف لن يعتمد هذا الإنسان عليه، ولن يتمكن من التواجد في ساحات الخطر.[3]

---

(١) المصدر السابق، ١٣٩ـ ١٤٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٣.

(٣) المصدر السابق، ص ١٤٣.

ينبغي أن لا نضيّع أي لحظة من أجل طلب المغفرة

«أيها الأخوة والأخوات! يجب علينا أن نتوب من جميع خطايانا.

ففي الوقت الذي كان الإمام السجاد وأمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام وسائر الأئمة العظام، وهم المتمتعون بنورانية لا نظير لها بين أفراد البشر، يستغفرون ويتوبون إلى الله بألسنة شتّى وأنفاس ملتهبة.

ينبغي لي ولأمثالي أن لا نضيّع أية لحظة من أجل الرجوع إلى الله وطلب الإنابة والمغفرة.

اجعلوا التقوى شغلكم الشاغل في جميع أعمالكم اليومية، وراقبوا أقوالكم وسلوككم وأعمالكم وقراراتكم، وكل ما تقدمون عليه، ولا تدعوا الأهواء النفسية تحرفكم عن صراط الله وعن أداء التكليف الإلهي ـ فالشيطان يسعى بواسطة نفوسنا الأمارة وأهوائنا النفسانية، وألوان العجب والأنانية، والهوس الموجود فينا، ليضلنا عن الصراط الإلهي المستقيم. ولذا يجب علينا أن نراقب كل حركة أو خطوة نخطوها، تماماً كمثل ذلك الشخص الذي يسير فوق منعطفات ومزالق طريق جبلي خطر. وهذه هي التقوى: مراقبة الله في كل الأعمال».[1]

(١) المصدر السابق، ص ١٤٤.

شهر رمضان فرصة استثنائية

«نحن نعتقد ـ وهذا جزء من بديهيات الإسلام بل بديهيات جميع الأديان ـ أن الإنسان يستطيع أن يتكامل فقط في ظل الإرتباط والإتصال بالحق تعالى. بالطبع، تعد فرصة شهر رمضان فرصة استثنائية، إذ ليس هو بالأمر البسيط أن يقول تعالى في القرآن: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

فهي ليلة من ليالي شهر رمضان تفوق في فضلها وفضيلتها ألف شهر، وتعدّ أشد تأثيراً (من غيرها) في إحداث تقدم الإنسان. وإنه ليس بالأمر البسيط أن يعتبر الرسول الأكرم ﷺ هذا الشهر شهر الضيافة الإلهية. أفمن الممكن أن يفد الإنسان على مائدة الكريم فيخرج من عنده محروماً؟... إن المحروم الواقعي والحقيقي هو ذلك الشخص الذي لم يستطع في شهر رمضان أن ينال الغفران الإلهي.[1]

العبودية هي شرط التكامل الحقيقي

«لقد ذكرنا مراراً بأن سر المسألة يكمن في قدرة الإنسان على الإتصاف بالعبودية لله. فالعبد هو من سلّم للإرادة والشريعة الإلهية ولأحكام الله تعالى. إنّ جوهر جميع القوانين والأحكام والأوامر الإلهية وشرائع الأنبياء يتجلى في نفس هذه الكلمة، ولعل أنبياء الله قد شرفوا بالعبودية قبل أن يمنحوا مقام النبوة ويشرفوا به من قبل الله تعالى.. ففي رواية : إنّ الله اتخذ محمداً عبداً قبل أن يتخذه رسولاً..

---

(١) المصدر السابق، ص ١٥١.

فلنهيئ أنفسنا للطاعة، ولنعلم بأن جميع الأشياء هي منه، ولنعتبر حقاً بأن جميع النعم هي نعم ومواهب إلهية، لا أنها حصيلة قدرتنا وعلمنا، ولنعلم بأننا أيضاً مجرد وسيلة.. لتحقق الإرادة الإلهية»[1].

إصلاح النفس نقطة البداية لإصلاح العالم

يعدّ إصلاح النفس الإنسانية نقطة لانطلاق المركزية لإصلاح العالم من وجهة نظر الإسلام، حيث تعتبر مبدأ لتحقيق كل النتائج، وقد خاطب القرآن الجيل الذي يريد أن يغير وجه التاريخ بإرادته القوية، خاطبه بقوله: ﴿قوا أنفسكم﴾[2] و ﴿عليكم أنفسكم﴾[3] راقبوا أنفسكم واصرفوا اهتمامكم إليها فأصلحوها وزكّوها: ﴿قد أفلح من زكّاها﴾[4].

إنّ الإسلام ما كان ليثبت أقدامه، ولا لينتشر ولا لينتصر على أديان الشرك في العالم، وما كان التاريخ ليتحرك بدافع من مسار الإسلام وفعاليته، لولا أن المجتمع الإسلامي في الصدر الأول للإسلام شرع بتزكية الناس، وتوفّر في داخله أناس مهذبون، ومخلصون وصادقون بالقدر الكافي.

إنّ الجهاد لا يكون جهاداً إذا لم يكن المشاركون فيه مهذبون ومن أهل التزكية[5].

---

(١) المصدر السابق، ص ١٥١.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١٠٥.

(٤) سورة الشمس، الآية: ٩.

(٥) حديث ولايت، الجزء الخامس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص ٨٤ ـ ٨٥.

يجب علينا أن نصلح أنفسنا أولاً..

«لقد كمن في باطن وجودنا أكبر عدو لنا، وذاك هو نفسنا الأمارة، وشهواتنا، وتكبرنا، وعبادتنا للأنا. إننا في كل لحظة نستطيع ـ ولو بشكل مؤقت ـ أن نمنع حركة هذه الأفعى اللادغة وهذا العدو القاتل، سوف نوفّق ونسعد، ونكون قادرين على العمل والمقاومة والصمود والجهاد في سبيل الله. وفي كل وقت يتمكن هذا العدو من أن يطل برأسه، ويسقط دور العقل والقوى المعنوية والنفس الرحمانية في وجودنا فيضعها تحت تأثيره ويخضعها لسيطرته، في تلك اللحظة سوف نصير عرضة للجمود والركود أو للتراجع. والجمود يعني التراجع، إذ كلا هذين الأمرين واحد في الحقيقة...

يجب علينا أن نصلح أنفسنا أولاً، وعلى كل شخص يرى نفسه أكثر حرصاً وتعلقاً من الآخرين بالإسلام والثورة، أن يكون أكثر عزماً وجدية في إصلاح نفسه.

إنّ كل شخص يرى نفسه مستاء أكثر للوضع القائم اليوم في العالم، لهذه الأباطيل والخبائث والمفاسد التي ترتكبها القوى (الطاغوتية) والمعربدون والمهيمنون على العالم، عليه أن يصرف اهتمامه إلى نفسه بشكل أكبر فيصلحها. إنّ هذا الوضع الموجود اليوم في الدنيا ناشئ من هذا التقصير»[1].

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٥ ـ ٨٦.

الحكام المتظاهرون بالإنسانية

«إنّ مشكلة الشعوب تكمن في تسلط وحاكمية أشخاص هم في الباطن حيوانات مفترسة ووحشية، لا تعير اهتماماً لأي شيء. وأن بدوا في الظاهر أناساً كسائر الناس، إنّ ذلك الشخص الذي لا يعير أدنى أهمية لقتل آلاف الناس، ولإلقاء الأسلحة الكيميائية على النساء والأطفال، ويرتكب جناياته تلك بمنتهى السهولة، هو في الظاهر إنسان لكنه في الباطن ذئب. صورته المعنوية والحقيقية، والتي سيحشر على أساسها يوم القيامة، هي صورة حيوان وحشي»[1].

الملجأ الوحيد هو ذكر الله والتوكل عليه

«إنّ المسألة المهمة التي يجب علينا جميعاً ـ مسؤولين وأفراداً عاديين ـ أن نتذكرها دوماً هي أن الملجأ الوحيد لأي شعب عظيم ومجاهد وموحد، هو ذكر الله والتوكل عليه. وهذا الأمر هو الذي جعلنا نتقدم نحو الأمام، وأن ننتصر وأن نصل إلى هذه المرحلة»[2].

تكليفنا جميعاً هو حفظ العلاقة والإرتباط مع الله

«إنّ تكليف كل فرد منا على حدة هو في أن يحفظ هذه العلاقة والإرتباط مع الله وأن لا يقطعها أبداً. ومعنى ارتباط كل منا بالله هو أن نجعل عملنا وقلبنا

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٤.

وأخلاقنا وسلوكنا موافقاً لرضى الله. وأن نبتعد عن التكبر والكذب والإفتراء والخداع، وعن تحكّم النفس والأهواء النفسانية بحياتنا، وأن نزيد يوماً بعد يوم من ذكر الله والتوجه نحوه والإرتباط الحقيقي به في جميع أعمالنا الفردية والشخصية، ومن عبادتنا بالنحو الذي أمرنا به، ومن جهادنا لأنفسنا. إنّ هذا هو تكليف كل فرد منا على حدة»[1].

فلسفة تضحية الإمام الحسين عليه السلام

«في زيارة من زيارات الإمام الحسين عليه السلام، والتي تُقرأ يوم الأربعين، وردت جملة ذات مغزى كبير، وهي: وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة.

إنّ فلسفة تضحية الحسين بن علي عليه السلام قد أودعت في هذه الجملة. فالزائر يقول لله تعالى بأن عبدك هذا ـ حسينك هذا ـ قد سفك دمه كي ينقذ الناس من الجهالة و (حيرة الضلالة).. فانظروا كم لهذه الجملة من مغزى كبير، وإلى أي معنى سامٍ وعميق تشير»[2].

البشرية دوماً ألعوبة بيد الشيطان

«إنّ المسألة تتمثل في أن البشرية عرضة دوماً لتكون ألعوبة بيد الشياطين. فالشياطين الكبار والصغار يضحّون دائماً بالناس والشعوب من أجل تأمين

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٧ ـ ١٤٨.

أهدافهم. ولقد قرأتم عن هذا في التاريخ الماضي، وعن تفاصيل أحوال السلاطين الظلمة وكيفية تصرفهم مع الشعوب، كما رأيتم الوضع القائم في الدنيا اليوم، وسلوك القوى العظمى.. يجب أن تقدم المساعدة إلى البشر، وأن تُمد يد المعونة إلى عباد الله كي يستخرجوا أنفسهم من الجهالة، ويخلصوا أنفسهم من الحيرة والضلالة.

لكن، أي شخص هو ذاك الذي يستطيع أن يمد يد النجاة للبشرية؟ إنّ الأشخاص المتمسكين بأطماعهم وهوسهم وشهواتهم لا يمكن أن يقدروا على ذلك، لأنهم هم أنفسهم ضالون.

إنّ أولئك الأشخاص الذين يقعون أسرى تكبرهم وأنانيتهم لا يستطيعون تقديم النجاة للبشرية، بل ينبغي لهم أن يجدوا شخصاً ينجيهم، أو أن يشملهم لطف الله فتقوى إرادتهم ويتمكنون حينها من أن ينجوا أنفسهم.

إنّ الشخص الذي يستطيع أن يقدم النجاة للبشر هو الشخص الذي يعفو ويتجاوز، وهو الذي يستطيع أن يؤثر، ويغضّ الطرف عن الشهوات، ويتخلص من الأنانية وعبادة النفس والتكبر والحرص والهوى والحسد والبخل وبقية البلاءات التي تصيب الإنسان عادة، فيتمكن حينها من أن يضيء شمعة على طريق البشر. والإسلام يمنح الشعوب التي تؤمن به مثل هذه القدرة كي يتمكنوا من القيام بهداية البشر»[1].

(١) المصدر السابق، ص ١٤٨.

الإيمان بالغيب

«.. إنّ الأمر الذي تمتاز به الأديان الإلهية، والحد الفاصل بين الجموع الغفيرة لمؤمني العالم وسائر الشعوب وأفراد الناس منذ زمان آدم عليه السلام وحتى اليوم.. هو عبارة عن الإيمان بالغيب، أي بما وراء دنيانا المادية والحسية، وبما وراء المعادلات والحسابات البشرية المبنية على أساس هذه الحواس، فالحد الفاصل والنقطة الرئيسية تكمن هنا. وآية ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[1] في أول سورة البقرة تشير إلى هذه المسألة.

وليس المراد من الإيمان بالغيب ترك الإعتناء بعالم الشهادة ـ أي نفس هذه الدنيا المشهودة والمعلومة لدى الجميع، وما فيها من علاقات قائمة ـ فمثل هذه العلاقات لا يجب أن تُهمل..

الإيمان بالغيب معناه الإيمان بوجود عالم آخر خارج دائرة عالم الحواس الظاهرية والإدراكات المادية للإنسان، وأن ذلك العالم ليس عالماً يسوده الهرج والمرج، حيث تجري فيه الأمور وفق الحظ والصدفة، بل هو عالم منظم ودقيق يحكمه قانون العلية.

إذاً، هناك ملكوتٌ وعالمُ معنى وراء عالم الملك هذا. وعالم المعنى هذا لا يرتبط فقط بالقيامة والبرزخ وما بعد الموت، بل يشمل آننا الحاضر؛ وهذا مما يجب أن يُعتقد به. بالطبع، إنّ الأمر الجوهري (في عالم الغيب)، بل المعنى الحقيقي لكل العوالم، هو الذات المقدسة للباري تعالى، والذي هو منشأ الحياة

---

(١) البقرة، الآية: ٣.

والوجود والفعل والإنفعالات والحركة وسائر الأمور الأخرى؛ إلا أنه توجد في عالم الغيب هذا أشياء كثيرة أخرى يجب الإعتقاد بها أيضاً.

إنّ شقاء البشر يتحقق في تلك اللحظة التي يقصرون الحقيقة فيها على الأمور التي تقع تحت حواسهم، كما هو حال الماديين وكثير من غير الماديين المصابين بالغفلة. هذا الفرد الغافل ليس شخصاً مادياً بل هو شخص يعتقد بالله، ومع أنه معتقد بالله إلا أنه لا يشعر أن مثل هذا الإعتقاد يلازم الإعتقاد بأصل الغيب وبالعلل والمعلومات الغيبية.

إننا إذا لم نكن معتقدين بالغيب أو لم نكن نحمل تصوراً صحيحاً عنه، فسوف تكون النتيجة أن نعمد إلى إجراء الحسابات المادية، وأن تتعلق قلوبنا بالكامل بمثل هكذا معادلات ونتكل عليها»[1].

الحكمة بصيرة تخترق حجب المادة

«أنا أتصور بأن العين التي تستطيع أن ترى الأفعال والسنن (الغيبية) تسمى بالإصطلاح الإسلامي والقرآني بالحكمة: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[2] فإلى المستوى الذي أفهمه، الحكمة هي تلك البصيرة التي تتمكن من أن ترى الحقائق الموجودة ما وراء ستار المادة.

وعلى الرغم من أنني قبل الثورة، ولسنوات طوال، كنت أكنّ لإمامنا الكبير والعظيم الشأن كل مودة وإخلاص، وأعرفه عن قرب، إلا أنني تنبهت إلى هذه

---

(١) المصدر السابق، ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٢) سورة ص: ٢٠.

المسألة بعد الثورة، وهي أن إمامنا رجل حكيم. ولا يراد بكلمة (حكيم) في هذا المقام معناها الإصطلاحي ـ أي فيلسوف ـ بل الحكمة بمعناها الحقيقي والقرآني، الذي يقول الله تعالى عنه بأننا آتيناه للأنبياء..»[1].

من يجعل الشرع رائده يصل إلى النصر

«لقد كان الإمام قدس سره يقول: نحن نعمل بتكليفنا. نحن لا نحارب لننتصر، بل نحارب لنقدم الجواب إلى الله. نحن نقوم بما يكلفنا به الله، فإن أعطانا النصر نحمد فضله علينا، وإن لم يمنحنا إياه فنحن نحمده أيضاً أن وفقنا لنؤدي تكليفنا. وسر الإنتصارات يكمن في هذا.

إنّ الإنسان الذي يجعل الشرع رائده، بمعنى أنه يخطو كل خطواته وفق التكليف الإسلامي والشرعي، سوف يصل إلى النصر يقيناً. ونحن سوف لن نقلل من شأن أي أمر (في هذا الطريق)، لأن المعادلة الغيبية معادلة دقيقة جداً، واضعها هو الله بعلمه الإلهي الذي: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾[2] ففي هذه المعادلة لا يخفى أي عامل أو عنصر.

حينما قالوا لنا جاهدوا، وأمروا بالمعروف وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، واصدقوا في القول والعمل، واجتنبوا الرذائل، واخلصوا واعفوا، وغير ذلك من

---

(١)حديث ولايت، الجزء الخامس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى. ١٣٧٦هـ.ش، ص ١٧٥ـ ١٧٦.

(٢) سبأ : ٣.

قبيل هذه الأحكام الإلهية التي يتزين بها المؤمن الكامل، فمعنى ذلك أنه يجب أن نكون متعبدين أمام هذه الأوامر.

فلو أعطوكم في حقلٍ للألغام ـ حقل ليس لديكم أدنى اطلاع على ما فيه ـ ورقة وقالوا لكم تقدموا (بالكيفية الفلانية).. يجب عليكم أن تدققوا النظر وتتحركوا في هذا الميدان (وفق ما في الورقة). فالعارف بخريطة زرع الألغام تحت الأرض هو الذي قد كتبها، وهو الذي قد أعطاكم إياها، ويقول تحركوا بهذه الكيفية؛ وهذا هو معنى التعبد»[1].

الإيمان والتعبد هو ما يميزكم عن الجيوش العالمية الأخرى

«إنّ الأمر الذي يميزكم ـ أنتم المجاهدون ـ عن جيش حديث، مجهز ومدرب، وكامل على مختلف الصعد، هو الإيمان والتعبد، أي الاعتقاد بالغيب وحضوره الفاعل؛ وهذا أمر ليس في متناولي ومتناولكم، وطريق الوصول إليه ومفتاح سره هو التقوى، أي العمل بالتكليف الشرعي.

إنّ هذه الوسيلة هي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع أن تميزكم عن سائر القوى الثورية والعسكرية؛ وإلا فإن عدد القوى العسكرية المجربة والمدربة والذكية والماهرة والمستفيدة من التجارب والشجاعة، وحتى المضحية، ليس قليلاً في هذه الدنيا.

---

(١) حديث ولايت، الجزء الخامس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص ١٧٧ـ١٧٨.

إنّ التضحية ليست أمراً ناشئاً من الدين فقط، فالتضحية تنشأ من شعور معنوي قد يكون هو الدين، ومن ناحية أخرى قد يكون هو القومية. أليس كذلك؟»[1].

احفظوا جهوزيتكم المعنوية والإيمانية

«إنني لا أريد ـ وفق ما جرت عليه العادة ـ أن أدعوكم (المجاهدون) فقط كي تحفظوا جهوزيتكم العسكرية، بل إنني أدعوكم إلى ما يفوق ذلك وهو أن تحفظوا جهوزيتكم المعنوية، وذخائركم الروحية والإيمانية.

إنّ من الممكن أن لا تكون التحديات المقبلة بهذه الصورة الواضحة والمكشوفة التي يسهل ردها. من الممكن أن تكون أشد تعقيداً؛ (وفي مقابل ذلك) الحنكة والإيمان القوي أمر ضروري.

لقد كان الدفاع عن الإسلام في عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أسهل من الدفاع عن الإسلام في عهد أمير المؤمنين عليه السلام.

ففي ذلك الزمان كانت القضية أعقد. واليوم، فإن الإستكبار العالمي أكثر مكراً، ويملك العديد من الوسائل والإمكانات. فمن أين لكم أن تعرفوا ما الذي سيحصل؟

يجب أن تقوّى البنية المعنوية للمجاهدين. إنّ كل واحد من أفراد المجاهدين يجب أن يصل على الصعيد المعنوي والإيماني إلى حد أنه لو بقي وحيداً فريداً،

---

(١) المصدر السابق، ص ١٧٩.

ولم يبق معه شيء (يواجه به)، لبقي يملك قدرة وطاقة وشجاعة وجرأة الوقوف والصمود في وجه الدنيا كلها، إنّ هذا الأمر ضروري.

وبالطبع، فإن هذا الأمر يقوم على ركنين اثنين ثابتين هما: المعرفة والإيمان. والمعرفة تختلف عن الإيمان. قد يمتلك البعض المعرفة لكنهم يكونون فاقدين للإيمان الصحيح والحقيقي. كذلك، لا يعدّ الإيمان دون معرفة كافياً لكم أنتم. قد يكفي شخصاً من عوام الناس البعيدين عما يجري، ويوصله إلى الجنة؛ أما بالنسبة إليكم فلا»[1].

ليكن لنا في أعمالنا نية حسنة وخالصة

«في ظل النظام الإسلامي، والحياة الإجتماعية القائمة على أساس الإسلام، يجب أن تنطلق كل حركة يؤديها الإنسان المؤمن من هذا التصور والتفكير، وهو أن هذه الحركة محفوظة عند الله، وأننا سوف نلقاها يوم القيامة.

إنّ أياً من هذه الأقوال والأفعال.. والحركات والسكنات.. لم تفن أو تزل، بل هي جميعاً موجودة. ويوم القيامة، عندما يفتحون صفحة الأعمال ويرى الإنسان شريط أعماله أمامه، ويشاهد أن كل شيء موجود عليه، في ذلك الوقت يتعجب الشخص الذي لم يفهم هذه الحقيقة في الدنيا، ولم يؤمن بها وغفل عنها، ويقول: ﴿مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[2].

---

(١) المصدر السابق، ١٨٤ ـ ١٨٥.

(٢) الكهف: ٤٩.

إنّ علينا في جميع أعمالنا وحركاتنا أن نستحضر هذه الحقيقة وهذا الدرس العظيم الذي قدمه لنا الإسلام ومعلمنا الكبير في هذا العصر ـ أي الإمام الراحل الذي كان هو نفسه ملتزماً بالإسلام، ولم يكن الإسلام يجري على لسانه أو ينطلق من حنجرته فقط، بل يترشح من أعماق وجوده ـ وهو أن يكون لدينا نيّة حسنة وإلهية، وقصداً خالصاً. ولو لم تكن لديه هو نفسه هذه النيّة الخالصة، لما وصلت الثورة إلى هذا المستوى»[1].

في طريق الله لا معنى للتوقف أو التعب أو الهزيمة

«نحن لسنا في نهاية الطريق، بل في وسطه. وإنّ أردنا أن نكون أكثر دقة في حساباتنا، فنحن لا زلنا في بداية الطريق.

إننا نسير في ركاب تحقيق الحاكمية المطلقة للإسلام، وفي طريق الله هذا لا معنى للتوقف أو التعب أو الهزيمة»[2].

نفس الإنسان أعدى أعدائه

«أيها الأخوة! إعلموا أنه مهما اختلفت أذواقكم وتنوعت انتماءاتكم السياسية والفكرية والحزبية، فالتفرق يكمن عند منعطف محدد، وعليكم أن تنتبهوا لذلك.

---

(١) حديث ولايت، الجزء الخامس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص ٢٧٧.

(٢) حديث ولايت، الجزء السادس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص١٥.

هذا المنعطف هو عبارة عن تلك المحطة أو اللحظة التي تشعرون فيها أن (النفس) قد دخلت إلى الميدان بدلاً من الله. هذا المنعطف يقع هنا: «**أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**»[1]. فهذه (النفس) وهذه (الأنا) هي أشد عداءً من جميع الأعداء، وإنه لمن الممكن من أجل إرضائها ـ لا سمح الله ـ أن نكون مستعدين لتناسي أشرف القيم وأعزها»[2].

إننا سنحاكم أمام الله والتاريخ

«إننا سوف نحاكم في مكانين: أولهما في محكمة التاريخ.. وثانيهما في محضر الله تعالى. إنّ الإنسان حينما يمر على بعض من الآيات القرآنية، ليهتز لها واقعاً: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾.[3]

إنّ الله لن يدعنا نغادر أمكنتنا (يوم القيامة). ففي تلك الساحة العجيبة والمهولة، سوف يبعث إلى الحياة (يتجسم) كل واحد من أعمالنا وحركاتنا وأقوالنا وأفعالنا ـ بل وحتى تخيلاتنا أحياناً ـ ليكون مورداً للتدقيق والمحاسبة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[4].

إنّ كل لحظة من لحظات حياتنا هي في مرأى من النور النافذ للعلم والبصيرة الإلهية؛ وبالتعبير العرفاني المتجلي من البصيرة الكاملة لذلك الإنسان الإلهي والعبد

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٠، ص ٦٤.

(٢) حديث ولايت، الجزء السادس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص ٤٤.

(٣) الصافات: ٢٤.

(٤) الزلزلة: ٧ ـ ٨.

الصالح الإمام الخميني قدس سره، «العالم محضر الله». نحن الآن في محضر الله تعالى، وهو مطّلع على ما في زوايا فكرنا وأذهاننا».[1]

المناجاة الشعبانية

«إنّ الدعاء هو وسيلة المؤمن وملجأ المضطر، ورابطة الإنسان الضعيف والجاهل بالمنبع الفياض للعلم والقدرة. فالإنسان الذي يفقد الرابطة الروحية مع الله، ولا يتوجه إلى الغني بالذات لطلب حاجته منه، هو إنسان حائر وعاجز وضائع: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[2].

وإنّ أفضل الأدعية على الإطلاق هو ذلك الدعاء الذي ينشأ من عمق المعرفة الوالهة بالله، ومن البصيرة العارفة بحاجات الإنسان؛ وهذا ما مما يمكن أن يبحث عنه فقط في دين نبي الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين ـ الذين هم أوعية علم النبي صلى الله عليه وآله وورثة حكمته ومعرفته ـ ونحن بحمد الله نمتلك ذخيرة لا تنضب من الأدعية المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، والتي يمنح الأنس بها الصفاء والمعرفة والكمال والمحبة، ويطهر الإنسان من الكدورات.

إنّ المناجاة الشعبانية المأثورة ـ والتي قد روي أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يداومون عليها ـ هي أحد الأدعية التي لا يمكن إيجاد نظير لمعانيها العرفانية

---

(١) حديث ولايت، الجزء السادس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) الفرقان: ٧٧.

ولسانها البليغ ولمضامينها العالية جداً، المليئة بالمعارف الرفيعة، على الألسنة الجارية وفي المحاورات العادية، بل ليس ممكناً أصلاً أن تنشأ بمثل تلك الألسنة.

إنّ هذه المناجاة هي النموذج الكامل من تضرّع أكثر عباد الله الصالحين قرباً واصطفاء، بين يدي معبوده ومحبوبه، والذات الربوبية المقدسة. إنها من جهة درس من المعارف، وهي أيضاً أسوة في كيفية إظهار الحاجة وطلب الإنسان المؤمن من الله».[1]

بناء الإنسان

«يُعدّ بناء الإنسان في الواقع، أمراً يفوق جميع الأشياء أهمية في نظر أي ثورة من الثورات. فالثورة إذا لم تصنع إنساناً، لا تكون قد أنجزت أي عمل مطلقاً. ولو فكّر شخص بهذا الكلام لوجد دليله واضحاً، أي أن هذا الكلام لا يحتاج إلى استدلال، لأن الدنيا بدون الإنسان الصالح هي ظاهرة بلا روح، ظاهرة عمياء ومظلمة.

إنّ الشيء الذي يهب الروح للعالم المادي، ويمنحه قيمة ونوراً، ويعطيه معنى ومضموناً، هو الإنسان: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2].

---

(١) حديث ولايت، الجزء السادس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) البقرة: ٣٠.

فالخليفة هو وصف منحه الله للإنسان. ثم أين وضع هذا (الخليفة)؟ (في الأرض). فما هي الأرض بدون هذا الخليفة، وأية قيمة لها؟

لقد كان همّ جميع الأنبياء وعباد الله الصالحين هو أن يوجدوا إنساناً صالحاً على هذه الأرض، وأن يحفظوه، ويهدوه ويكثروه. والإسلام بدوره يهدف إلى هذا الأمر أيضاً.

وما رأيتموه في البيان الذي أصدره الإمام قبل عدة سنوات حيث أشار فيه إلى أن فتح الفتوح للثورة الإسلامية هو صناعة شباب على هذه الصورة، لم يكن مجرد كلام خطّه قلم الإمام جزافاً، بل هو كلام يستند إلى مبنى إسلامي وإلهي راسخ جداً؛ وهو بحق فتح الفتوح..»[1].

التقوى شرط التوفيق في كل مسير

«التقوى هي الإجتناب والإبتعاد عن الخطأ والمعصية والوقوع في الشبهات والفسق والإنحراف عن الصراط وإتباع الهوى، والتسليم لصراط التكليف المستقيم. يجب أن يكون الجميع، وفي الساحات المختلفة، من أهل التقوى حتى يحرزوا التوفيق. فالتقوى شرط التوفيق في كل مسير.

(١) حديث ولايت، الجزء السادس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص١٠٠.

إنّ كل مؤمن يريد أن يطوي طريق الله وأن يتحرك على الصراط المستقيم للحق، يجب عليه أن يكون من أهل التقوى كي يتمكن من كسب الرضى إلهي، والإستفادة من النورانية الإلهية، والوصول إلى المراحل المعنوية العالية، وتحقيق حاكمية دين الله».[1]

التقوى والمسؤولية

«إنكم وفي أي موقع كنتم، وأياً كان العمل الذي تقومون به أو المسؤولية التي تتحملونها، وأياً كان شأنكم الإجتماعي، يجب عليكم في الدرجة الأولى أن تصرفوا كل طاقتكم لتحصيل رضى الله والقيام بالتكليف الشرعي الإلهي؛ وهذه هي التقوى. فأن تكونوا بصدد أداء التكليف واجتناب الإنحراف والضلال هو نفسه التقوى.

إنّ هذا الشعور إذا برز فيكم، وبذلتم طاقتكم وجهودكم (في هذا الطريق)، فمع أول خطوة تخطونها، سيساعدكم الله تعالى في الخطوة الثانية.

إنه وكلما ارتفعت درجة مسؤولياتنا، أصبح يلزمنا درجة أعلى من التقوى. ففي ساحة الجهاد، التقوى هي التي توصل الإنسان إلى النصر..»[2]

---

(١) المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

انعدام التقوى هو في إتباع الهوى

«إن انقياد القلب للهوى واللذائذ الآنية للحياة، وسيره وراءها، في حين أنه يتنافى مع سلوك طريق الأهداف الرفيعة والسامية، يعدّ انعداماً للتقوى أيضاً. وهذا الإنقياد هو ما يُركع أمة ما، بينما ترفع التقوى من شأنها وتمنحها الرفعة والعزة. إننا بحاجة إلى التقوى.

أيها الأخوة والأخوات! التقوى هي التي تجعل لطف الله ورحمته يشملنا، والتقوى والجدّ في طريق الله هما اللذان يجلبان البركات الإلهية: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾[1] التقوى هي التي تنصركم على الإستكبار والقوى الظالمة».[2]

حمل التكليف

«إننا في كل لحظة من لحظات عمرنا، نرفع فوق أكتافنا حمل التكليف الشرعي. والمهم هو أن نعرف هذا التكليف في كل لحظة من تلك اللحظات، وأن نؤديه في وقته وزمانه» [3].

---

(١) الأعراف: ٩٦.

(٢) حديث ولايت، الجزء السادس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص ٢١٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢٦.

سر عمل الإمام قدس سره هو السير الدائم نحو الكمال

«إنّ البعض ليرتقون عن طريق بذل الجهد، والهمة والإرادة، والإيمان والتوكل، إلى ما هو أرفع من قمة التضحية والفداء، لكنهم بعد ذلك يهبطون من على تلك القمة، وحينئذٍ يكون الأمر قد انتهى! فحينما ننزل من على القمة، نكون قد نزلنا ولم نعد هناك فوق!

إنه ليس صائباً أن يقال بأننا ضحينا فيما مضى، واليوم نريد أن نستفيد من ذلك! ففي ذلك الوقت الذي يريد الإنسان أن ينتفع بما قدّمه يوماً في سبيل الله، لا يعدّ هذا الحال تعبيراً عن وجوده فوق القمة، بل في قعر جهنم.

يجب أن تبقوا في القمة، فطريق الإسلام والمعنويات هو على هذا النحو. طبعاً، للإنسان (في هذا الطريق) سقطات وهفوات، وقبض وبسط، حيث تتواجد الموانع على طريقه في جميع المحطات. وليس من الصحيح أن نقول أو أن نتوقع أن الناس الصالحين يسيرون دوماً في طريق الصلاح. ففي النهاية هناك حالاتٌ من ارتكاب المعصية والتردد والمخالفة؛ لكن من حيث المجموع ينبغي أن يكون الإنسان في حالة تقدم وتكامل.. والتحرك هو نحو الأمام.

إنّ هذا الإمام الذي أدهشكم وأدهش كل الدنيا معكم ـ بل لم يكن ذلك إدهاشاً، وإنما الذي انتزع القلوب من مكانها، وقلب الدنيا رأساً على عقب ـ يختصر سر عمله في كلمة واحدة؛ ومشكلتي ومشكلة من هم أمثالي تتلخص في

أن يفهموا هذه الكلمة بشكل صحيح، وفي أن يتمكنوا من العمل وفقها. فقولها باللسان سهل، لكن تنفيذها صعب.

وهذه الكلمة التي قد لا نستطيع نحن حتى أن نفهمها، كان هو قد عمل على أساسها! هذه الكلمة كانت عبارة عن السير الدائم نحو الكمال.

لا تظنوا أن الإمام الذي رحل إلى جوار الله عام ١٣٦٨هـ.ش (١٩٨٩م) هو نفسه الإمام الذي رجع إلى إيران عام ١٣٥٧هـ.ش، (١٩٧٨م) كلا! فقد تكامل الإمام وارتقى كثيراً.

إنّ الله شهيد على أنني في كل مرة كنت أزور الإمام فيها بعد نهاية شهر رمضان، كنت ألمس بشكل واضح أن الإمام قد تكامل في هذا الشهر، قياساً بما كان عليه في السابق، وأنه قد حلّق أكثر وازداد بعداً عن عالم المادة.

لقد كان الإمام يتكامل يوماً بعد يوم، وهذا هو حال الإنسان المؤمن: «من تساوى يوماه فهو مغبون»[١].. «ومن كان غده أسوأ من يومه فهو ملعون»[٢]؛ أي أنه قد طرد»[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ٧١، ص١٧٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) حديث ولايت، الجزء السادس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٢٤٨ـ ٢٤٩.

عمل السوء قد يطيح بأصل الإيمان أحياناً!

«لقد كانوا كثراً أولئك الذين حاربوا في صفوف النبي ﷺ؛ لكنهم لم يستطيعوا الحفاظ على سوابقهم. ففي وصفه لسيف رجل كان قد قاتل في ركاب النبي ﷺ، قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ هذا السيف لطالما أزاح الكرب عن وجه رسول الله. نفس هذا السيف، عاد واستُلّ في وجه علي بن أبي طالب! يجب أن تحفظ السوابق.

في الصحيفة الإلهية لا تبقى الأعمال الماضية دوماً بل قد تحبط: ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾[1] فما معنى حبطت؟ معناها أن جميع أعمالهم قد ذهبت أدراج الرياح وزالت من الوجود. لا تظنوا أننا إن قمنا يوماً بعمل صالح.. وكذلك بعمل سيء فإن هذا العمل الصالح يبقى محفوظاً. كلا! فليس الحال كما نظن، فالعمل السيئ في عالم موازين الأعمال، عند الله تعالى، يطيح بالعمل الصالح ويزيله من الوجود، بل إن عمل السوء أحياناً قد يطيح بأصل الإيمان في نفس الإنسان: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[2] فالعمل السيئ قد يجر أحياناً إلى تكذيب الآيات الإلهية»[3].

---

(١) التوبة: ١٧.

(٢) الروم: ١٠.

(٣) حديث ولايت، الجزء السادس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٢٤٩ـ ٢٥٠.

الله يمن علينا جميعاً أن هدانا

«إنّ أي شخص لا يستطيع أن يمنّ على الإسلام بإسلامه. وإن أي شخص لا يستطيع أن يمنّ على الثورة بثوريته. قال الله تعالى لنبيه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾[1].

هل تدركون إلى أي حد من الضلالة قد وصلت إليه الشعوب وأفراد البشر؟ وإلى أي حد هم أسرى لنفوسهم؟ في نفس هذا العالم ـ المصطلح عليه بالتمدن ـ كم هو عدد الشباب الذين لا يعرفون شيئاً (كما الحيوانات) سوى حاجاتهم المادية؟ فالحيوان ليس شيئاً آخر سوى هذا. (وأما) الإنسان فهو الذي يحدد هدفه عن طريق المنطق والعقل، والإحساسات الخالصة والصحيحة، ثم يتحرك نحوه بكل طاقته، ويرفع الموانع من أمامه؛ وهذا ما لا يفهمونه هم (في العالم«المتمدن»). ففي أمريكا وأوروبا وسائر الدول الواقعة تحت الظلم، هناك الكثير من أمثال هؤلاء الشباب.

اشكروا الله على أن هداكم إلى الإيمان الصافي والخالص، وإلى التوحيد الأصيل. لقد منحنا الله (بذلك) الوجود الحقيقي والإستقلالية. واليوم، فإن القوى المتزعمة (في هذا العالم) ليست مطيعة لله، وهم يعتبرون الناس عبيداً لهم؛ كما أن الناس أنفسهم قد رضوا بذلك.

---

(١) الحجرات: ١٧.

هؤلاء فقط يخافون من إنسان واحد هو أنتم، ويحسبون حساباً لإنسان واحد هو أنتم، لإنسان يعلمون جيداً أنه لن يخضع لهم أو يذلّ تحت أي ظرف من الظروف. لكن أنتم لم تكونوا على هذه الحال من قبل! الإسلام هو الذي أوجد فيكم هذا الإستعداد؛ لذا يجب أن تقدرّوا قيمة الإسلام»[1].

اغتنموا أيام شهر رمضان وأحكموا عقدكم مع الله

«إنّ هذا الشهر هو شهرُ الصيام، شهرُ نزول القرآن والأنس به، شهرُ العبادة والدعاء والمناجاة ـ إذ الدعاء مخ العبادة وروحها ـ شهرُ الإستغفار والتوبة والرجوع عما لا يرضي الله تعالى ورعاية التقوى، شهرُ الجهاد ـ حيث حدثت في هذا الشهر المبارك غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة، وفتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، كما وقعت غزوة حنين في نفس هذا العام أيضاً ـ شهرُ الجهاد مع النفس والجهاد مع الشيطان والجهاد مع أعداء الله، شهرُ التجهز، شهرُ التزود بالتقوى، شهرُ صلة الرحم والصدق وبر الأخوان، والتعلم، والتدبر في القرآن، وبالإجمال شهرُ التزود بالذخيرة المعنوية لعام كامل.. فاغتنموا هذه الأيام وأحكموا عقدكم مع الله»[2].

---

(١) حديث ولايت، الجزء السادس، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٢٥٠ـ ٢٥١.

(٢) حديث ولايت، الجزء السابع، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٩ ـ ١٠.

الإخلاص جوهر وروح أعمال أمير المؤمنين عليه السلام

«إنّ المسألة التي أود أن أركز عليها إلى حد ما في كلامي اليوم هي إخلاص أمير المؤمنين عليه السلام. إنّ علينا أن نجعل من هذا الأمر جوهراً وروحاً لأعمالنا، كما كان هو جوهر وروح عمله عليه السلام طوال فترة حياته؛ فقد كان يؤدي العمل لأجل رضى الله والتزاماً بالتكليف الشرعي فقط، دون وجود أي دافع شخصي أو نفسي أو غيره من الدوافع. وفي ظني أن النقطة المحورية في شخصية أمير المؤمنين تكمن في هذا الأمر»[1].

يجب أن نأخذ العبرة من إخلاص أمير المؤمنين عليه السلام

«طبق ما ورد في نهج البلاغة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وأبناءنا وأعمامنا لا يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً ومضيّاً على اللقم وصبراً على مضض الألم.. فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر» ولولا ذلك «ما قام للدين عمود ولا اخضرّ للإيمان عود»[2].

إنه وببركة الإخلاص وصدق أولئك المسلمين قد حدث كل ذلك التقدم (السريع) وخرج المجتمع الإسلامي إلى حيّز الوجود. وبدورها، تدين الحضارة الإسلامية، وهذه الحركة التاريخية المعاصرة العظيمة.. والمسلمون في كل الدنيا.. لذلك الإخلاص والصدق، حيث يجب عليهم أن يتعلموا هذا الدرس من علي بن أبي طالب عليه السلام»[3].

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢ ـ ١٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٥٦.

(٣) حديث ولايت، الجزء السابع، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص١٤ ـ ١٥.

التضحية والفداء

«إنه وبدون التضحية والفداء لن يصل أي أمر إلى نتيجته. إنكم إن ظننتم أن العزة والكرامة والحرية والحياة المريحة يمكن أن تكون كلقمة توضع في فم شخص ما، فأنتم مشتبهون. يجب أن تتحملوا الصعوبات، إلا أنها صعوبات قصيرة ومحدودة، وسوف تزول من الوجود بالكامل»[1].

القاطعية والصلابة في طريق الحق

«إننا فيما لو نظرنا إلى خصوصيات مرحلة حكومة أمير المؤمنين ـ أي إلى علي بعنوانه حاكماً ـ لوجدنا عدة خصوصيات تمثل جوهر هذه المرحلة.

أول هذه الخصوصيات هي القاطعية والصلابة في طريق الحق. وهذه الخصوصية إن لم نقل بأنها الأهم من بين سائر الخصوصيات الأخرى، فهي بالحد الأدنى أبرز خصائص أمير المؤمنين. فأول ما يمكن مشاهدته من ذلك الجهاز الحكومي هو أن أمير المؤمنين ـ وبعد تشخيص الحق ـ لم يكن ليردعه شيء عن المضي في طريقه. وقد كان النبي وصفه من قبل بقوله : خشن في ذات الله[2].. وهذا هو المنطق الذي كان أمير المؤمنين يتّبعه؛ ولو شاهدتم أعداء أمير المؤمنين لرأيتم أن هذه القاطعية مهمة»[3].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٣.

(٢) بحار الأنوار، ج٢١، ص ٣٨٥.

(٣) حديث ولايت، الجزء السابع، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٤٢ـ ٤٣.

التحرك نحو الحياة الإسلامية الطيبة أمر أساسي

«إنّ الموضوع الذي سوف أعرضه اليوم، هو أحد الموضوعات الإسلامية الأساسية، والذي قد ورد ذكره في آيات القرآن الكريمة.. وهو عبارة عن التحرك نحو الحياة الإلهية والإسلامية الطيبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1].

إنّ الله والرسول ليدعوانكم إلى الحياة، إلى جوهر الحياة الطيبة والخالصة من الشوائب؛ والحياة الخالصة ليست فقط في الأكل وتحصيل اللذة والإنقياد وراء الشهوة. وهذا لا يحتاج إلى دعوة من الله والرسول. إنّ نفس كل إنسان تدعوه إلى الحياة الحيوانية. جميع الحيوانات يسعون وراء الغذاء وإطفاء الشهوة، ويدخلون في صراع من أجل المعدة والبقاء أحياء لساعة أخرى من الزمن. وأما الحياة الطيبة فهي عبارة عن تسخير هذه الحياة في سبيل الله ولأجل الوصول إلى الأهداف العليا. وهدف الإنسان السامي ليس هو في أن يملأ المعدة بأي شكل من الأشكال.

الهدف الأعلى للإنسان هو عبارة عن الوصول إلى الحق، إلى قرب الباري تعالى، والتخلق بالأخلاق الإلهية. ولأجل الوصول إلى مثل هذا الهدف، يحتاج الإنسان إلى وسائل مادية ومعنوية. فالغذاء لازم، لكن من أجل أن يتحرك الإنسان نحو الهدف»[2].

---

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) حديث ولايت، الجزء السابع، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٦٠ ـ ٦١.

اللذة المعنوية هي أعلى اللذات

«إنكم حينما تؤدون العبادات، وتتوجهون بالدعاء خاشعين، وتقيمون الصلاة بقلوب حاضرة، وتنفقون على مسكين مستحق، تلاحظون أي لذة هي تلك التي تشعرون بها، وأي حالة من البهجة تصيبكم. والوصول إلى مثل هذه اللذة لا يمكن أن ينال بالأكل!

إنّ الناس الذين قد ذاقوا طعم عبودية الله ـ وكل مؤمن يعيش مثل هذه الحالات على مدى عمره الذي يحياه، وإن بدرجات متفاوتة ـ يشعرون في لحظة التوجه إلى الله تلك، وعبادته، ومناجاته، والبكاء شوقاً إليه وبين يديه، بلذة يكونون معها مستعدين لترك الدنيا وما فيها من أجل أن تبقى تلك اللذة حاضرة في نفوسهم.

وأما الماديات فإنها تخرج الإنسان من تلك الحالة، وتجعله يخسرها شيئاً فشيئاً. اللذة المعنوية هي تلك الحالات، والناس الذين ليسوا على علاقة بالله أو على معرفة بالأهداف المعنوية لا يذوقون طعم هذه اللذة. وما أكثر الناس الذي يقضون عمراً مديداً في ظل الأنظمة المادية السيئة الذكر، لكن لا تعرض لهم حالة التوجه إلى الله واللذة المعنوية تلك، ولو للحظة واحدة. فهؤلاء لا يفهمون معنى ما نتحدث به الآن»[1]

(١) المصدر السابق، ص ٦٣.

دوام الإحساس باللذة المعنوية هو هدف الإسلام

«يريد الإسلام أن يرفع الناس، وينور قلوبهم، وأن يخرج الرذائل والمفاسد منها فيرمي بها بعيداً، كي نشعر نحن بتلك الحالة من اللذة المعنوية في جميع لحظات وأوقات حياتنا، وليس فقط في محراب العبادة، بل لنشعر بها حتى في محيط العمل، وحال الدرس، وفي ساحة الحرب، وعند التعليم والتعلم، وخلال القيام بعملية الإعمار والنهوض بالبلد.. ومثل هكذا إنسان يصير مصدراً لإشعاع النور في أرجاء الحياة والعالم. ولو يقدر للدنيا أن تربي مثل هؤلاء الناس، فسوف تقتلع جذور هذه الحروب والمظالم والمفاسد، وهذا التمييز والجور. هذه هي الحياة الطيبة.

إذاً، ليس معنى الحياة الطيبة هي أن يصلي الناس ويؤدوا العبادات فقط دون أن يفكروا أصلاً بشؤون الحياة المادية. كلا! فالحياة الطيبة تعني حيازة الدنيا والآخرة معاً.. لكن في جميع هذه الحالات (الإهتمام بالأمور المادية) تكون قلوبهم مع الله، وتزداد معرفة به يوماً بعد يوم.

هذا هو هدف النظام الإسلامي. وهذا هو الهدف الذي نادى به الأنبياء وجميع مصلحي العالم»[1].

(١) المصدر السابق، ص ٦٣ ـ ٦٤.

من اللازم الحد من كماليات الحياة

«من اللازم الحد بمقدار ما من كماليات الحياة.. وفي هذا فائدة كبيرة؛ فهو يمنحكم النورانية.. ونحن نسعى في الأصل وراء هذا الأمر (النورانية).

الإنسان الذي يعمل ويكد ويجاهد في هذه الدنيا، وهو يريد أن يقيم حاكمية الله في الأرض، لأي شيء يقوم بهذا؟ إنه يقوم بهذا لأجل أن يحصل الناس على النورانية والهداية. فالفائدة الأساسية والهدف الأصلي يتمثل في أن يتخلق الناس بأخلاق الله. والتخلق بأخلاق الله ليس مقدمة لعمل آخر، بل الأعمال الأخرى هي مقدمة للتخلق بأخلاق الله. العدل مقدمة للتخلق بأخلاق الله وتنور (قلوب) الناس. والحكومة الإسلامية وحاكمية الأنبياء هي لأجل تحقيق هذا الغرض (إنما بعثت لأتتم مكارم الأخلاق)[1] وعليه، فالحد من كماليات الحياة يترك مثل هذا التأثير على المعاملات والأعمال الشخصية»[2].

تبديل النعمة

«الله تعالى لا يبدل نعمته، بل نحن الذين نبدلها بسلوكنا، وتخاذلنا، وسوء تدبيرنا لأمورنا؛ ولذا، يذكرنا القرآن بأن نستغفر من إسرافنا وما ارتكبناه بحق أنفسنا:

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾[3]»[4].

---

(١) بحار الأنوار، ج١٦، ص ٢١٠.

(٢) حديث ولايت، الجزء السابع، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٣) آل عمران: ١٤٧.

(٤) حديث ولايت، الجزء السابع، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٢٤٩.

ينبغي أن لا نغفل عن الله

«أيها الأخوة! إن أعظم عذاب الله الذي قد ينزل على أمة، هو أن تصاب هذه الأمة بالغفلة. وأشد ألم قد يبتلى به مجتمع ما، هو غفلة ذلك المجتمع (عن الله)، فلا ينبغي لنا أن نغفل عنه.

يجب أن يكون الله حاضراً في أعماق قلوبنا وأرواحنا، وفي كل ما نقدم عليه من أعمال. يجب أن نعمل لله[1].

الحاجة إلى التقوى

«إننا جميعاً محتاجون للتقوى ـ أنا وأنتم ـ وذلك لسببين اثنين: الأول، هو أننا إن أهملنا رعاية التقوى ثم وقع ما يؤسف له جراء ذلك، فإن الضرر سيعود على الإسلام لا علينا؛ في ذلك الحين سيكون وزر هذا الضرر في أعناقنا، وإثمه في ذمتنا.

إنهم (الآخرون) ينظرون إلى الإسلام بأعيننا، ويتعرفون على الحقائق الإسلامية عن طريقنا، ولذا فإن خطأنا سوف يلصق بالإسلام، وهزيمة المسلمين ـ لا سمح الله ـ سوف تلحق بالإسلام.

إنهم سيقولون أن الإسلام قد هُزم، ولن يقولوا بأن عدداً من الناس الذين لم يفهموا حقيقة الإسلام ولم يعملوا به هم الذين هُزموا»[2].

---

(١) المصدر السابق، ٢٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥١.

ينبغي أن لا ننسى!

«إنّ علينا أن لا ننسى الله والموت، وموقف المساءلة والحساب. إننا لنحرص أشد الحرص فيما لو علمنا أن أعمالنا سوف تقع بيد محقق ضعيف من البشر، لا اطلاع له على كامل ما يجري؛ بل إننا لنفعل ذلك ولو لمجرد الإحتمال بأنها ستقع بين يديه!

في ذلك الوقت الذي تتعبون فيه من العمل، وتشعرون بفقدان الدوافع لملاحقته ومتابعته، وتظهر بوادر المحاباة، وطلب الإزدياد والتكبر، والتفكير بالمصالح الشخصية، والإستعداد للحكم بالباطل على الأخ المسلم الآخر، في ذلك الوقت تذكروا هذه الآية: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[1] [2].

شكر النعمة

«أنظروا كم ركّز القرآن على العلم، والنظر، والتدبر، وأخذ العبرة من الماضي، وانظروا كم عظّم شكر النعمة. لكن ما هو المقصود من شكر النعمة؟

إنّ المراد من شكر النعمة هو أن تعرفوا أولاً تلك النعمة التي منّ الله تعالى بها، ومن ثم أن تستفيدوا منها في موقعها المناسب؛ وهو ما عيّنه تعالى أيضاً بحكمته»[3].

---

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) حديث ولايت، الجزء السابع، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٢٥٣.

(٣) حديث ولايت، الجزء الثامن، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٣٦.

فوز الإنسان مرهون بالعمل بقواعد الحكمة الإلهية

«فما هي هذه القواعد؟ إنها تلك النكات التي تبدو في ظاهر القول بسيطة لكنها في معناها عميقة جداً، والتي تجلت في أنحاء القرآن وكلمات المعصومين، وتوصيات الإمام الخميني قدس سره، وهي: لا تتجهوا إلى أنفسكم، ولا تدوروا في فلكها. اجعلوا هدفكم هو الله، وتحرروا من قالب الحياة المادية. فلنسعَ وراء التكليف ولنشخّصه، ولا يكوننّ لنا عمل بغيره. لكن دوماً ـ وفي كل مرحلة ـ مراقبين، ولنكشف عن مواطن رضى الله ـ بناء على الحجج الشرعية ـ ولنعمل برضاه جميعاً.

إنّ هذه هي القواعد الإلهية للحكمة، والتي قد سُنّت لأجل تأمين فوز الإنسان وانتصاره في جهاده المتواصل في هذا العالم؛ ولا تظنوا أنها أمور لا علاقة لها بأهداف الإنسان. فعندما يطلب منا أن لا ندور في فلك أنفسنا خلال جهادنا وسعينا، معنى ذلك أن لهذا الأمر ارتباطاً مباشراً بوصولنا إلى الأهداف الإلهية.

أولوا هذه القضية في خلواتكم وأوقات تفكّركم قدراً من التفكير»[1].

أذكروا الله واتقوه

«إنني أوصي جميع الأخوة والأخوات.. برعاية التقوى والبعد عن معاصي الله، واتباع الصراط المنير الذي قد أرساه للبشرية نبي الإسلام الأكرم، وجميع الأنبياء وأولياء الدين. اذكروا الله واتقوه في جميع أفعالكم وأقوالكم وسلوكياتكم، بل وحتى تخيلات أذهانكم وكل ما تفكرون فيه»[2].

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٩.

تبعية النبي ﷺ

«لقد أمرنا الله تعالى نحن المسلمين بأن نتبع النبي. هذه التبعية المطلوبة هي التبعية في كل شؤون الحياة. فذلك العظيم ليس أسوة في أقواله فقط، بل في أفعاله، في نمط عيشه، في كيفية معاشرته للناس ولأسرته، في كيفية تعامله مع الأصدقاء، ومع الأعداء والذين هم من أتباع غير هذا الدين، في سلوكه مع الضعفاء والأقوياء؛ إنه أسوة وقدوة في كل شيء. وإن مجتمعنا الإسلامي إنما يكون مجتمعاً إسلامياً بالمعنى الكامل للكلمة حينما ينطبق سلوكه على سلوك النبي»[1].

المشهد الأول من حياة النبي ﷺ

«تمثل المشهد الأول من حياة النبي ﷺ في مشهد الدعوة والجهاد.

فقد كان أهم عمل قام به رسول الله ﷺ هو الدعوة إلى الحق والحقيقة، والجهاد في هذا الطريق.

ولم يقع النبي الأكرم فريسة الإضطراب والتردد في مواجهة دنيا الظلام والجاهلية آنذاك. لم يستوحش لما أصابه، سواء يوم كان في مكة وحيداً ـ تحيط به ثلة قليلة من المسلمين ـ وفي مواجهته زعماء العرب المتكبرون، وصناديد قريش وعتاتها ـ يسيئون إليه ويؤذونه ـ وأناس ليس لهم نصيب من المعرفة ـ

(١) المصدر السابق، ص ١١٠.

حيث نطق بالحق وكرره على مسامعهم وبيّنه لهم، وتحمل الإهانات والمصاعب إلى أن تمكن من جعل عدد كبير من الناس يسلمون ـ أم يوم أسس الحكومة الإسلامية وجلس على سدة رئاستها، وصارت مقادير القوة بيده.

لم يهن النبي أو يضعف لحظة واحدة في دعوته وجهاده، وتقدم بالمجتمع الإسلامي بكامل القوة إلى أن أوصله إلى أوج العزة والقدرة؛ وكان ذلك النظام (الإسلامي) والمجتمع هو نفسه الذي استطاع ببركة صمود النبي في ساحات الحرب والدعوة أن يتحول بعد سنوات إلى القوة الأولى في العالم آنذاك»[1].

المشهد الثاني من حياة النبي ﷺ

«وأما المشهد الثاني من حياة النبي فقد تمثل في سلوكه مع الناس. فهو لم ينس أبداً خُلق الوفاء والمروءة، ومحبة الناس والرفق بهم، والسعي لإقامة العدل فيهم. لقد عاش فيهم كأحدهم، فقام بينهم وجلس معهم، خالط العبيد والطبقات المسحوقة في المجتمع، فكان يأكل معهم ويجلس إليهم، ويظهر لهم المحبة والمداراة.

لم تغير فيه السلطة والقوة شيئاً، وكذلك الثروة التي اجتمعت للمسلمين. لم يختلف سلوكه يوم زالت المصاعب من أمامه عن سلوكه يوم كان يعاني الأمرّين. في جميع أحواله كان مع الناس وكأحدهم، يرفق بهم ولا يريد لهم شيئاً سوى العدالة.

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٠ ـ ١١١.

في حرب الخندق، حينما حوصر المسلمون من كل جهة تقريباً، ولم يعد الطعام يدخل إليهم، وزادُ الناس كان قد انتهى إلى حد أن الرجل منهم لم يكن يجد ما يأكله ليومين أو ثلاثة، في نفس تلك الحال كان النبي يشارك في حفر الخندق مع الناس، ويعاني من الجوع مثلهم.

وقد ورد في الرواية أن فاطمة الزهراء سلام الله عليها التي كانت قد أعدت للحسن والحسين ـ وكانا طفلين آنذاك ـ بعضاً من الخبز، لم يهنأ لها الحال بأن تدع أباها جائعاً، فحملت قطعة من ذلك الخبز الذي أعدته للأطفال إلى أبيها. فسأل النبي: يا إبنتي! من أين جئت بهذا الخبز؟ قالت: هو للأولاد. فوضع النبي لقمة منه في فمه وأكلها.

وحسب الرواية ـ التي أظن أن سندها معتبر ـ قال النبي: أنا لم أذق شيئاً منذ ثلاثة أيام!

بعد فتح الطائف، غنم الرسول غنائم كثيرة، وأخذ يقسمها بين المسلمين الذين انقسموا إلى فئتين يومها: فئة كان إيمانها راسخاً، قد جلسوا جانباً، وفئة من بعض الذين أسلموا حديثاً ومن القبائل التي كانت تسكن أطراف مكّة والطائف، وهؤلاء أحاطوا بالنبي يريدون الغنيمة إلى حد أنهم آذوه، واجتمعوا عليه من كل جانب والنبي يعطيهم لكنهم كانوا يريدون المزيد؛ وقد وصل الأمر إلى مرحلة أن أولئك الأعراب الأجلاف والقساة سلبوا النبي برده الذي يضعه على كتفيه! ومع أنه ﷺ كان في أوج العزة والقدرة، أظهر النبي من جديد نفس ذلك الرفق والمداراة والبشاشة، فنادى بكل لطافة وحسن خلق قائلاً: «أيها الناس ردّوا عليّ بردي»[1].

(١) بحار الأنوار، ج١٦، ص ٢٢٦.

كان النبي يخالط العبيد ويأكل معهم، يوماً، كان قد جلس على الأرض يشارك بعضاً من الفقراء طعامهم، فمرت به إمرأة من أهل البادية، وسألته متعجبة: يا رسول الله! أو تأكل مثل العبيد؟! فتبسم النبي وقال: «ويحك! أي عبد أعبد مني»[1].

كان يلبس من الثياب أبسطها، ويأكل من كل طعام وضع أمامه أو أعد له، ولم يكن يطلب طعاماً خاصاً لنفسه.

إنّ هذه الأخلاق لا نظير لها في تاريخ البشرية. وبالإضافة إلى هذه العشرة، كان يراعي النظافة والطهارة الظاهرية المعنوية بأتم صورها، حيث ورد عن عبد الله بن عمر: ما رأيت أحداً أجود ولا أنجد ولا أشجع ولا أوضأ من رسول الله»[2].

هكذا كانت إذاً معاشرة النبي للناس: معاشرة إنسانية وحسنة، لا تكبّر فيها ولا تجبّر. وعلى الرغم من أن الهيبة الإلهية والطبيعية كانت تعلوه، فلا يشعر الناس بأنفسهم بين يديه، كان هو يلاطف الناس ويحسن إليهم.

وحينما كان يجلس في جماعة من أصحابه، لم يكن يعرف من بينهم لشدة ما كان يبدو كأحدهم.. فينبغي أن يكون كل ذلك أسوة وقدوة لنا»[3].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٣١.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٥.

(٣) حديث ولايت، الجزء الثامن، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص١١٢ـ ١١٤.

المشهد الثالث من حياة النبي ﷺ

«ذكرُ النبي وعبادته لله تعالى يمثلان المشهد الثالث من حياة النبي. فمع كل ذلك المقام والشأن والعظمة، لم يكن ليغفل عن عبادته؛ فكان يقوم في منتصف الليل يدعو ويستغفر ويبكي. وقد جاء في السيرة أن أم سلمة افتقدت النبي في إحدى الليالي، فقامت من فراشها فوجدته مشغولاً بالدعاء وهو يبكي ويستغفر، ويقول: (اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً)[1]. بكت أم سلمة لما سمعته، فانتبه النبي لبكائها، وقال: ما تفعلين ها هنا؟ قالت: يا رسول الله! أنت على ما أنت عليه عند الله تعالى، والذي قد غفر لك كل ذنوبك ـ ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2] ـ كيف تبكي وتدعو الله أن لا يكلك إلى نفسك؟ قال: (وما يؤمنني)[3].

إنّ في ذلك لدرساً لنا.. فذكر الله في جميع الحالات وعدم نسيانه، والإتكال عليه، والتوجه بالحاجة إليه (هو) ذلك الدرس العظيم الذي علّمنا النبي إياه»[4].

---

(١) بحار الأنوار، ج١٤، ص ٣٨٤.

(٢) الفتح: ٢.

(٣) بحار الأنوار، ج١٤، ص ٣٨٤.

(٤) حديث ولايت، الجزء الثامن، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص١١٤.

الثورة هي لأجل تغيير القيم في المجتمع

«لقد كان الله تعالى نصيراً للنبي في جميع المواقف، فهو ﷺ كان دوماً يستمد العون منه، ويطلب إليه حوائجه، دون أن يخشى غيره أو يخافه. السر الجوهري في عبودية النبي لله يكمن في أنه لم يحسب لأي قوة حساباً في مقابل الله، ولم يتراجع أمامها، ولم يتنازل عن شيء مما أراده الله.

إنّ الثورة ليست من أجل أن يأتي أشخاص ويذهب آخرون، بل هي لأجل أن تغيّر القيم السائدة في المجتمع: كي تكون عزة الإنسان وشرفه في عبودية الله، كي يكون الإنسان عبداً لله، كي يعمل الإنسان لله، كي يخشى الإنسان الله ولا يخشى أحداً غيره، كي يطلب الإنسان حاجاته من الله، كي يجاهد الإنسان في سبيل الله، ويتدبر في آياته، ويعرف العالم حق معرفته فيهبّ لإصلاح الفساد الموجود فيه وفي نفوس الناس، على أن يبدأ من نفسه؛ وعلى كل واحد منا أن يبدأ من نفسه»[1]

الجهاد الأكبر هو تكليفنا

«إنّ الأمر الذي لا ينبغي لنا أن ننساه، والذي علينا في المقابل أن نذكره دوماً، هو أن نبحث عن تكليفنا في هذا المقطع من الزمن، وأن نسعى لتحديد مسؤوليتنا أمام النعم الإلهية. واليوم، يعد الجهاد الأكبر المعنوي أعظم تكليف ملقى على عاتقنا.

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٥.

إنّ علينا أن نهذب أنفسنا ونبنيها ونطهرها، وأن نجعلها عارفة بالله، وهذا الجهاد الأكبر هو أكبر من كل جهاد ظاهري.

لقد جاء الأنبياء ليبنوا الإنسان، وينقذوه من أنانيته، ويخلصوه من شر وساوسه الباطنية.

إنّ هذه الشجاعة والقدرة يجب أن توجد فينا، كي نتمكن من التغلب على وساوسنا الباطنية، ومن الوقوف في وجه أهوائنا النفسية ـ في وجه ذلك الشيطان الموجود فينا واسمه (الأنا) ـ ومجاهدتها. ففي باطن كل منا، وفي داخلنا شيطان هو هذه (الأنا) والإنية، هو هذا التكبر والهوى والانقياد وراء الأهواء المعشعشة فينا. فأي شيء سينجينا من يد هذا الشيطان؟ سوى الإرادة النابعة من هذا الدين، وسوى الإيمان القوي والقلب الذي عرف معنى التزكية والأخلاق الإلهية؟

إنّ هذا الأمر يحتاج إلى قوة وشجاعة كبيرتين؛ والشجاعة في هذا الجهاد هي أكبر من الشجاعة المطلوبة في المواجهة مع أي عدو خارجي»[1].

صفعات الأنانية

«إنّ أكثر الصفعات التي يتلقاها الإنسان هي بسبب هوسه الباطني وأنانيته، ومن ذلك أيضاً تنشأ ذلته ويبرز تكبره، وتتساوى القوى المستكبرة والمتفرعنة مع كل الذين خضعوا ودانوا لها، في تلقيها لهذه الصفعات الناشئة من الأنانية والإنصياع لأهواء النفس.

(١) المصدر السابق، ص ١٣٦ـ ١٣٧.

فلماذا لا يخرج بعض الناس لمحاربة الطاغوت؟ ولماذا لا يمتلك أشخاص جرأة أن يقاتلوا أمريكا؟ فما الذي يمنعهم؟ إنه نفس هذا الشيطان الباطني؛ نفس الشيطان الذي يطمع أن يحيا لأيام أخر زائلة، وأن يرغد بالعيش أكثر، وأن يلتذ بالأكل والملبس»[1].

ضرر العالِم أشد وأخطر

«لماذا وقع كثير من العلماء وأفراد المجتمع البارزين في الماضي ـ ولا زالوا اليوم كذلك في كثير من البلدان ـ أسرى مطامع ورغبات القوى الإستكبارية؟ إنّ السبب يعود إلى كونهم أسرى لأهوائهم وحبهم للراحة.

ومثل هكذا أشخاص يزداد خطرهم وضررهم فيما لو كانوا علماء».

ولقد ضرب الله تعالى في القرآن الكريم لنا مثلاً بشأن هذا، هو (بلعم بن باعورا)، حيث قال بحقه: ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾[2]. فلقد كان رجلاً عالماً بالمعارف الإلهية، لكنه (أخلد إلى الأرض أي أحب طول العيش، وازدياد رغده، وتعلّق بالحياة المادية، وبهوسه ورغباته النفسية؛ فلم يجن سوى الذلة والمهانة)[3].

---

(١) المصدر السابق، ص ١٣٧.

(٢) الأعراف: ١٧٦.

(٣) حديث ولايت، الجزء الثامن، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص١٣٧ـ١٣٨.

الهدف الأرفع للثورة هو تزكية الإنسان

«إنّ جميع الأمور تعد بمثابة مقدمة لتزكية الإنسان وطهارته. وعلى الرغم من أن تحقيق العدالة الإجتماعية وقيام الحكومة الإسلامية على رأس المجتمعات البشرية يعدّ هدفاً كبيراً بحد ذاته، لكنه مقدمة لترقي الإنسان وتكامله، الموقوف بدوره على تزكية الإنسان. كذلك، يحتاج العيش في هذا العالم الدنيوي ـ إن أردنا له أن يحقق السعادة ـ إلى التزكية، والتي يتوقف عليها أيضاً نيل الدرجات الأخروية والمعنوية، وفلاح الإنسان ـ أي وصوله إلى المقصد الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[1] [2].

وجودنا منبع جميع الشرور والخيرات

«أيها الأخوة والأخوات! إنّ منبع جميع الشرور موجود فينا ـ وهو أنفسنا التي تعدّ أخطر من سائر الأصنام ـ وكذلك منبع جميع الخيرات والكمالات ومظاهر الجمال.

فإن تمكنا وسعينا لكي نخلص أنفسنا من مخالب النفس الأمارة بالسوء والشهوات النفسانية، فسوف يفتح في وجهنا منبع الخيرات.

---

(١) الأعلى: ١٤ ـ١٥.

(٢) حديث ولايت، الجزء الثامن، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص١٧٤ـ١٧٥.

إنّ الدنيا إذا كانت اليوم مليئة بالظلم والجور، وإذا كانت القوى الكبرى تخدع الناس وتظلمهم، وإذا كان كثير من الشعوب تجلب الذلة لنفسها بيدها، وذلك من خلال سكوتها،.. فكل ذلك ناشئ من عدم التزكية»[1].

الطلبة الجامعيون وبناء النفس

«انتبهوا أيها الطلبة الجامعيون.. إلى أن بناء النفس من الناحية الأخلاقية يُعدّ أكبر تكليف بالنسبة إليكم. تمموا أخلاقكم، فأنتم الشباب تملكون هذه الفرصة. المرحلة هي مرحلتكم؛ وأنتم تعيشون في مرحلة حسنة ومساعدة؛ في ظل حكومة قرآنية وأحضان الثقافة الإسلامية. ولهذا، أنتم تملكون فرصة التكامل وتهذيب النفس، على الصعيد الروحي والمعنوي؛ فاغتنموا هذه الفرصة»[2].

بالإخلاص ترافقنا البركات الإلهية

«إننا وفي كل وقت يظهر منا ما يخالف الإخلاص، ولو بقدر بسيط، نبتلى بظهور عيب أو نقص ما يطرأ على أعمالنا.

في المقابل، طالما أن الإخلاص موجود و (الأنا) مفقودة، وطالما أننا نريد أن ننجز أكبر قدر ممكن من الأعمال بأقل نفع (يعود على ذواتنا)، وطالما أننا نعمل بدافع من الهداية الإلهية، فإن البركات الإلهية تظل ترافقنا.

---

(١) المصدر السابق، ص١٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص١٧٧.

وقد شبّهت هذا الأمر في إحدى المرات بعمل نحل العسل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[1] فنحل العسل ينتقل بين الزهور ويجمع للناس العسل الذي ﴿فيه شفاء للناس﴾[2] طبعاً، للنحل إبر يستفيد منها في الوقت المناسب، وطالما أن اللسع في وقته ومكانه المناسبين فلا مشكلة ولا خطأ في ذلك؛ بل حتى الإستفادة من هذه الإبرة في الأوقات اللازمة أمر ضروري، إلا أن اللسع ليس عمل النحل الأصلي. عمله الأصلي هو جمع العسل. ما دمنا نعمل وفق هذا التصور، فستظل البركات الإلهية ترافقنا»[3].

طمع الشيطان

«أيها الأخوة والأخوات! اعلموا أننا لسنا بعيدين أبداً عن طمع الشيطان فينا، بل إنه يُطمع نفسه بإغوائنا دوماً. ولقد طمع بإغواء حتى الأنبياء، فكيف بنا نحن؟!

إنّ ما يميز عباد الله المخلصين من غيرهم من الناس هو أنهم يمرغون أنف الشيطان في التراب دوماً، ويخيبون أمله بإغوائهم. لكن ما هو السبيل لتحقيق ذلك؟ إنه التقوى، وليست التقوى أمراً يصعب على الإنسان أن يفهمه.

إنّ معنى التقوى هو أن يقوم الإنسان بكل ما كلفه الله تعالى به، أن يأتي بالواجبات ويترك المحرمات؛ وهذه أول مرتبة من التقوى»[4].

---

(١) النحل: ٦٨.

(٢) النحل: ٦٩.

(٣) حديث ولايت، الجزء الثامن، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٢٠٣.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٣٢.

كسب رضى الله

«إننا ما دمنا ثابتي الأقدام، نمضي في طريقنا ونعمل بكل جد ونملك الإخلاص، والإهتمام ـ وهذا هو جوهر القضية ـ فإن النبع الإلهي الفياض سيظل بلا شك يفيض علينا، شاء الأعداء أم أبوا، فرحت أمريكا بذلك أم استاءت.

إنكم ترون الوضع القائم في الدنيا اليوم، وكيف أنهم يقومون بتفتيت الإمبراطوريات الموجودة وتقسيمها، وكيف أن الشعوب تعمل على استعادة عزتها، وكيف أن الإسلام يقوم بمد سيطرته المعنوية على القلوب؛ إنّ علينا أن نعتبر من ذلك.

إننا في أي موقع كنا، وأي عمل كنا نتولى، يجب أن تكون نيتنا متوجهة نحو كسب رضى الله؛ وهذا هو أكثر أبعاد القضية أهمية.

يجب أن نرضي الله بالعمل الصالح. فالعمل الصلاح توأمان فلا صلاح دون عمل.

وفي القرآن ورد ذكر العمل الصالح بعد ذكر الإيمان، وإن كان طبق بعض الروايات (الإيمان هو العمل)[1]. والإيمان هو جوانحيٌّ وقلبيّ، هو الإرادة التي يجعلها الإنسان حاكمة على قلبه وروحه. فالإرادة أحياناً ـ ولعله دائماً ـ أصعب وأثقل من العمل الجوارحي والجسماني؛ وأحياناً تكمن مشكلتنا في هذه المسألة. يجب أن نعمل وستكون النتيجة هي المضي قدماً في خط الصلاح»[2].

---

(١) الألفين، ص ٣٢٠.

(٢) حديث ولايت، الجزء التاسع، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٣٦ـ ٣٧.

الفارق بين الصلاح والفساد

«يكمن المعيار المائز بين الصلاح والفساد في أننا هل ننجز العمل الذي نقوم به لأجل رضى الله أم لا. ومن البديهي أننا حينما نريد أن ننجز عملاً لكسب رضى الله، فإننا لن نتمكن من ذلك إلا بعد أن نبحثه ونفهم حسنه ومطلوبيته وبعدها نقوم به لرضى الله. وعليه، ففي باطن السعي لكسب رضى الله، يكمن وعي المؤمن ويقظته والتفاته إلى جميع الأبعاد والتدبير الإلهي»[1].

الاتكال على الله

«إنكم أقوى من أعدائكم. إننا من حيث المعنويات أقوى من جميع حشود العدو وجموعه. طبعاً، هم يمتلكون مالاً أكثر وتقنية أرفع، وأشياء أخرى كثيرة نحن بحسب الظاهر لا نمتلكها، لكن نحن لدينا شيء هم محرومون منه، وهو الإتكال على الله، الله الذي هو كل شيء، والذي هو أقوى من التقنية وعلوم البشر وكل موجودات العالم قاطبة.

فبإشارة واحدة منه تقلب الدنيا كلها رأساً على عقب بأمره وإرادته. إن لدينا من ذلك التوكل، ويجب أن نحفظه. إنه كنز؛ فإذا كنا نمتلكه بين أيدينا انتفعنا منه، وإن نحن فقدناه، سنفقد القوة.

إننا في مهب عواصف الأحداث، وككثير من الدول والشعوب لسنا سوى ريشة ضعيفة، وما يجعلنا مستمرين ولا ننهزم أبداً هو الإتكال على الله؛ فاحفظوا ذلك بقوة»[2].

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٣.

الإنسان في معرض الإختبار دوماً

«إنّ الإنسان في معرض الإبتلاء والإختبار دوماً. وليس هناك من شيء يمكنه أن يحصّن الإنسان (من السقوط) دائماً: لا العلم، ولا المجاهدة، ولا حتى التدين والتقوى، ما لم يسع الإنسان لمراقبة نفسه.

إنّ الأمر ليس كما نتصوره من أنه يمكننا أن نقول إننا قد أنجزنا في سبيل الله هذا العمل العظيم، وهذه المجاهدة، وعليه فلسنا معرضين للسقوط بعدها. كلا! ليس الأمر كما نظن، فإنه حتى الأشخاص الذين ينجزون أعمالاً كبرى في سبيل الله، هم عرضة للسقوط ما لم يراقبوا أنفسهم. يجب على الإنسان أن يراقب نفسه دوماً.

يتحدث القرآن الكريم عن أولئك المجاهدين الذين يجرحون في ساحة الحرب ـ أفهل يوجد عمل أرفع من هذا؟ أن يذهب الإنسان إلى القتال ويُجرح... فيقول: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]، أي أن هذا الأجر العظيم إنما يدوم إذا رافقته التقوى والصلاح، وإلا فإنه إذا جاهد شخص ما ثم نال ذلك الأجر المعنوي، لكنه لا سمح الله لم يحفظ هذا الأجر، فحينئذٍ يكون عمله خسراناً.

والسؤال: ما الذي يمكنه أن يحفظ لنا ذلك الأجر؟ إنه التقوى. ولهذا السبب يتم تذكيرنا في كل صلاة جمعة، وفي كل سورة من سور القرآن بالتقوى. كما نجد في

---

(١) آل عمران: ١٧٢.

أول القرآن أيضاً الحديث عن التقوى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1]، [2].

طاعة الله والرسول سبب للحياة والعزة

«﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[3] يجب أن يسود القرآن في حياتنا وأن تمتلئ ببركاته. إنه وفي ظل القرآن تتخذ معرفتنا وبصيرتنا وشجاعتنا وثورتنا معناها الواقعي، وتتجه نحو أهدافها الحقيقية.

إنّ الإنسان يحتاج في حياته وتحركه نحو الأهداف السامية والقيّمة إلى هاد. ومن يفتقد مثل هذا الهادي، ويدير ظهره للهداة الإلهيين، مثل هذا الإنسان لن يعيش حياة إنسانية وإلهية لائقة به؛ تماماً كما هو حال الشعوب التي أدارت ظهرها للأحكام الإلهية فابتليت بظلم القوى الكبرى وخداعها، وابتليت بالتشرذم وقتل الأخ لأخيه، وابتليت بالأمراض النفسية والعصبية، وسائر المشاكل التي تتفاقم يوماً بعد يوم. صحيح أن مثل هؤلاء الناس قد يتوفر لهم الماء والطعام، إلا أن عيش الإنسان ليس بالماء والطعام فقط. إنّ الإنسان يحتاج إلى الهدف، إلى العشق والمحبة، إلى الأهداف السامية، إلى الحرية والعزة.

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) حديث ولايت، الجزء التاسع، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٧٧.

(٣) الأنفال: ٢٤.

إنّ الأمة التي تشبع لكنها تسلب السيادة والعزة، وتتعرض للإخضاع والإذلال، كيف يمكن لها أن تجد طعم الراحة والسكينة؟!»[1].

ازدادوا أنساً بالله

«لا تنسوا الله أبداً. حافظوا على اتصال قلوبكم وارتباطها بالمنبع الغيبي للقدرة؛ أي بنبع الوجود الفياض، وبالله العظيم. ازدادوا أنساً بالله أكثر فأكثر.

إنه وعن طريق حماية منبع القدرة الأزلية هذا للبشر واطمئنانهم به، يصبحون بمنأى عن السقوط والهزيمة. فاسعوا ـ خصوصاً أنتم الشباب بقلوبكم الصافية وأرواحكم الملكوتية ـ أن تكونوا من خلال الإرتباط بالله من بين عداد الذين لا يسقطون ولا يهزمون؛ وسوف ييسر الله تعالى لكم سبل الورود إلى نبع تفضله»[2].

بالمحبة يمكن الوصول إلى أرفع درجات المعرفة

«إنّ ما في ذلك العظيم علي عليه السلام من مظاهر الجمال والأنوار المتجلية والخصال الجاذبة، لكبيرٌ إلى حد أن كل قلب تفاض عليه معرفة هذه الأنوار، لا يستطيع أن يبقى غير مبال تجاهه عليه السلام. وإنّ كل شخص عرفه بالمقدار الموجود في الروايات أضحى عاشقاً له. وحتى أولئك الأشخاص الذين لم يقرّوا مثلنا بولايته ولا يحملون

---

(١) حديث ولايت، الجزء التاسع، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١١٦.

مثل عقيدتنا (بشأنه)، فإن الفضائل والمناقب التي وردت في كتب الفريقين ـ وهي ليست من مختصات الشيعة، حيث ذكرها علماء أهل السنّة الكبار، وهي التي ترونها منتشرة في جميع الآفاق ـ تجعلهم يرون أنفسهم عاشقين ومجذوبين لأمير المؤمنين.

وعليه فلا يدور بحثنا حول معرفة الحقيقة النورانية والعُلوية لأمير المؤمنين، إذ لا يمكن أن نفهمها ولا أن نتصورها، ولا طريق لنا كي نعرفه؛ إلا أولئك الأشخاص الذين استنارت قلوبهم بمعرفة تلك الأبعاد من وجوده عليه السلام عن طريق نور الهداية والمعرفة الإلهية. لكن مسألة المحبة هذه هي مسألة مهمة. فالتعلق والعشق والإرتباط بأمير المؤمنين عليه السلام هو حقيقة ساطعة، وينبغي لنا أن نستفيد من هذه الحقيقة الساطعة كمعراج نعرج به؛ وهذا ممكن التحقق، فبسلّم المحبة يمكن الوصول إلى أرفع درجات المعرفة. المحبة هي أساس العمل»[1].

المحبة الواقعية هي السير على خطى أمير المؤمنين

«أيها الأخوة والأخوات! إنّ هذا العمر قصير. وهذه الدنيا محدودة بالنسبة لنا ولكل نفس بشرية، وهي تمضي سريعاً. (لذا) يجب أن تُغتنم الفرص، وأن لا ننشغل بالمجاملات وسائر الأمور التي لا تجعلنا نتكامل. هذه المحبة ينبغي أن تعرج بنا وتهدينا. لكن متى يمكن لهذا أن يحدث؟ ومتى يمكن لهذه المحبة أن تفعل فعل الإكسير؟

(١) المصدر السابق، ص ١٨٠.

إنّ ذلك يحدث حينما ننظر إلى الإرتباط الممتزج بالمحبة بيننا وبين أمير المؤمنين وأولياء الدين بعين الجد. والسؤال مجدداً: كيف يكون ذلك؟

إنّ النظر بجد إلى المحبة يتمثل في سعينا للمضي على الطريق الذي يوصل إلى ذلك العظيم، وإلا فإننا إذا أدرنا ظهرنا لذلك الطريق، وأبعدنا أنفسنا ـ ولو قليلاً ـ عن ذلك العظيم لا سمح الله، بعمل نقوم به أو كلام نتلفظه، فسوف تبهت هذه المحبة وتضعف وتصير سطحية صورية. فالمحبة إذاً حقيقية وصورية.

إننا إذا ابتعدنا عن أمير المؤمنين عليه السلام لا سمح الله، سوف نصاب بهذا الأمر؛ سوف تكون محبتنا لسانية وادعائية، ولن تأخذ بأيدينا وتقدم لنا المعونة عندما نحتاج إلى النصرة والمعونة.

وأما إذا ثبتنا على ذلك الطريق الذي يوصل إلى أمير المؤمنين، فكلما مضينا قدماً، ازدادت محبتنا عمقاً»[1].

خصال علي عليه السلام

«إنّ صفة من صفات أمير المؤمنين عليه السلام هي أنه ومنذ أوائل عمره حتى نهايته لم يفكر في شيء سوى الله، وقد اختار طريقه تعالى على طريق من خالفه، حتى ولو كره الناس جميعاً ذلك.

فحينما آمن ـ وكان أمير المؤمنين هو أول من آمن بالنبي الأكرم ـ كان جميع الأشخاص الذين يعيشون في المجتمع آنذاك كافرين بما آمن به من الحق، لكنه لم يكترث بكفرهم وإنكارهم وعنادهم.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٨١.

طوال المرحلة المكية، لم يهتم ولم يعتن لحظة واحدة بكل ما كان يجري من أذى، وتعلُّقٍ بالأحساب، ووقوفٍ بوجه الدعوة وكل أشكال العداوة، ومضى يدافع عن الحق.

إنّ للإنسان قوى وعمراً محدوداً، ويجب أن توضع كرأسمال تحت تصرف الله تعالى؛ ومثل هذا السلوك هو سلوك المؤمن بعلي عليه السلام. إنه السلوك الذي إن قام به شخص من البشر ـ ولو من بين جمع صغير من البشر ـ لاستطاع أن يزيل الظلم والفساد من الدنيا.

وأما نحن البشر المتعلقون بالطعام والراحة والعشرة والحياة والسكن والجاه والشأنية والمقام والقدرة وسائر تعلقات البشر في الدنيا وانشغالاتهم، لا يمكننا أن نحرر أنفسنا من هذه القيود ونمضي قدماً بمثل هذه القوة في طريق الله؛ وحينئذٍ ستكون النتيجة ما تشاهدونه اليوم جارياً في العالم»[1].

آثار خصال أمير المؤمنين عليه السلام

«لو قُدّر لبريق من خصال أمير المؤمنين أن يتجلى في وجود إنسان ما، فسوف تكون النتيجة هي ما شاهدتموه في جبهات القتال، وما شاهدتموه في الشهداء والمجاهدين البواسل، والمحررين.. والجرحى الصابرين، وأسر المجاهدين والشهداء، وآبائهم وأمهاتهم حيث رأيتم أي ملحمة قد سطروا في هذا العالم. وليس هذا إلا تعبيراً ناقصاً وصغيراً، وقطرة مما كان بحره موجوداً في روح أمير المؤمنين العظيمة»[2].

---

(١) المصدر السابق، ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص ١٨٣.

عمل أمير المؤمنين عليه السلام

«لم يكن للنفس و (الأنا) وحب الراحة والرغبات النفسانية أدنى تدخل في كل ما كان أمير المؤمنين يعزم عليه أو يقوم به. هذا ما حصل بعد رحيل خاتم الأنبياء، وهذا ما جرى أيضاً طوال الخمس والعشرين سنة، حيث كان يقوم بما تمليه مصلحة الأمة الإسلامية وتقتضيه؛ لم يخالف المصلحة أبداً، ولم يقتف أثر أنانيته مطلقاً.. وكل ما كان يراه حقاً، كان يقوم به؛ وتلك صفة من صفات أمير المؤمنين.

إننا محبّو ذلك العظيم، وليس هناك من شك في أن عشق أمير المؤمنين يتلاطم في قلوبنا؛ وهذا مبعث أملنا وافتخارنا. لكن السؤال هو: ما الذي يعمّق هذه المحبة ويجعلها جزءاً لايتجزأ من أرواحنا، تزداد يوماً بعد يوم وتثمر؟ ما يحقق كل هذا هو أن نقتدي بصفة أمير المؤمنين هذه»[1].

الأنس بالقرآن

«إنّ الأنس بالقرآن يرتقي عالياً بالمعرفة العامة لبلد من البلدان. فالقرآن هو كل ما نملك، وهو النور. وفيما لو أنس شبابنا بالقرآن، فسوف يتغير حالنا كثيراً. أسأل الله تعالى أن يحشرنا جميعاً مع القرآن في الدنيا والآخرة، وأن تكون حياتنا حياة قرآنية، وأن نتحرك نحو تحقيق أهداف هذا الكتاب الشريف، وأن نموت حاملين لمعارف القرآن، وعلى طريق خدمته»[2]

---

(١) المصدر السابق، ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٠.

المحبة تفعّل الإيمان

«إنّ الإيمان ما لم يترافق من الأساس مع المحبة والعشق العميق والعاطفة، فهو فاقد للفعالية. المحبة في أرفع درجاتها هي التي تمنح الإيمان الفعالية في مقام العمل والإقدام، حيث لم يكن من الممكن أن نتقدم بثورتنا إلى الأمام لولا المحبة. وإن أرفع درجات المحبة ـ أي محبة أهل البيت ـ في الفكر الإسلامي، لهي في متناولنا»[1].

الأبعاد الدنيوية لمسؤولياتنا لا تستهوينا!

«نشكر الله تعالى على عدم وجود ذرّة تعلق أو عشق أو محبة لشيء من أمور الدنيا المرتبطة بالثورة في قلوبنا. فليس لهذه المسؤوليات (التي نتحملها) في شأن من شؤونها الظاهرية أي جاذبة أو تأثير علينا؛ وهذا لطف من الله. نقول هذا بمنتهى الجرأة، وإن شاء الله سنتابع العمل على هذه الحال. فما هو موجود (في النفس) هو المسؤولية ـ أي الأهداف الدينيةـ»[2].

---

(١) حديث ولايت، الجزء الثاني، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٤.

نحن لا نعمل لأجل النتائج

«إننا لا نعمل لأجل النتائج، وإن كنا في الوقت عينه نرغب في تحققها، ونريد أن تكون الجمهورية الإسلامية مقتدرة وغنية، وأن لا ينالها أذى الأعداء، وأن يتمتع شعبنا بالخير على الصعيدين المادي والمعنوي، ويحقق الرفعة.

غير أن الحقيقة هي أننا ما لم نصل إلى هذه الأهداف بالرغم من سعينا وعملنا بتكليفنا، لا ينبغي لنا أن نشعر بالهزيمة. وقد عمل الإمام قدس سره على إفهامنا جميعاً هذه المسألة طوال السنوات العشر الماضية، قولاً وعملاً»[1].

الإستعداد للخدمة

«فيما يتعلق بالمستقبل، يجب أن نهيئ أنفسنا للخدمة في كل موقع، وأياً كانت هذه الخدمة؛ من دون أن نحدد مسبقاً موقع خدمتنا. ولقد سرت على هذا المنوال منذ بداية الثورة، ووطّنت نفسي على ذلك دوماً.

فعندما تقرر مجيء الإمام قدس سره إلى إيران، وكنا حينها متحصنين داخل جامعة طهران، تداعى جمع من الأخوة المقربين الذين كنا نعمل معهم بسرية طوال الثورة، ومن الذين عرفوا خلال الثورة وبرزت أسماؤهم، ووصل بعضهم إلى الشهادة ـ كالشهيد بهشتي، والشهيد مطهري، والشهيد باهنر، والأخ العزيز هاشمي (رفسنجاني)، والمرحوم ربّاني شيرازي، والمرحوم ربّاني أملشي ـ حيث كنا

(١) المصدر السابق، ص ٣٥.

نجتمع ونتشاور بشأن القضايا المختلفة. فقلنا فيما بيننا بأن الإمام سيصل إلى طهران خلال يومين أو ثلاثة، وليس لدينا الإستعداد اللازم، فلنقم بترتيب أمورنا وتنظيمها، بحيث لا نبقى عاطلين عن العمل فيما إذا جاء الإمام وازداد عدد المراجعات والمتابعات العملية. ولم نكن بوارد التفكير بشأن الحكومة. لقد كنا نشكل أعضاء شورى الثورة آنذاك، إلا أن البعض منا لم يكن يعلم حينها بذلك، بل إن البعض من الأخوة ـ كالمرحوم ربّاني شيرازي والمرحوم ربّاني أملشي ـ لم يكونوا يعرفون كم هو عددنا، نحن الذين نشكل هذه الشورى.

قررنا أن نجلس لوضع هذا التنظيم (المطلوب)، وحددنا لذلك ساعة من عصر أحد الأيام. وبالفعل ذهبنا إلى المكان المحدد واجتمعنا، ودار الحديث حول توزيع المسؤوليات، فقلت: إنّ مسؤوليتي هي أن أقوم بتوزيع الشاي! وبذكر هذا الإقتراح اكتسب المجلس روحية خاصة..

لقد كانت روحيتي المعنوية على هذه الصورة. بالطبع، كنت أعلم أن الكلام الذي تفوهت به في ذلك المكان لن يدفع أحداً لتعييني لمهمة صب الشاي وتوزيعه، وأنهم لن يسمحوا بذلك؛ لكن لو وصل الأمر واقعاً إلى أن يطلبوا مني إعداد الشاي، لكنت ذهبت ونزعت عباءتي عني، وشمّرت عن أكمامي وبدأت بتحضيره؛ فهذا الإقتراح لم أطرحه عبثاً، بل كنت على استعداد للقيام بهذا العمل»[1].

(١) المصدر السابق، ص ٤٠ ـ ٤١.

لولا التكليف!

«قبل رحيل الإمام، حيث كانت فترة رئاستي للجمهورية قد شارفت على نهايتها، كنت أقوم بلملمة أموري (استعداداً لترك المسؤولية). وكان البعض يراجعونني بشكل مكرر، ويقدمون اقتراحاتهم بشأن بعض الأعمال، والتي كان عدد من الأفراد غير المسؤولين قد تخلوا عن واجبهم تجاهها، وألقوها على كاهلي بالكامل! غير أنني قلت في نفسي، إذا أوجب الإمام عليّ أمراً في وقت ما، وقال لي أنجز هذا العمل الفلاني، فسوف أقوم به، لأن أمر الإمام تكليف، وغير قابل للرجوع فيه. وأما في حال لم يحصل مثل هذا التكليف ـ وكنت سأطلب من الإمام أن لا يكلفني مرة أخرى كي أنصرف إلى الأمور الثقافية ـ فسوف أتابع الشأن الثقافي.

احفظوا أنفسكم على أهبة الإستعداد، ليس لهذه المرحلة فقط، بل وبشكل دائم كي تستفيد منكم الثورة، بأي نحو احتاجته، ولنتذكر هذا الأمر جميعاً.

ففي بعض الأوقات، تكون أفضل وجوه الاستفادة من إنسان حي عاقل، ذي شعور، هي بأن يجعل نفسه كالسلّم، فيضع شخص ما قدمه على كتفه، ليرتقي ويتمكن من إنجاز عمل ما، فأي مشكلة في ذلك؟

إذا اقتضت مصلحة الثورة والبلد مثل هذا الأمر، ينبغي القيام بعمل كهذا»[1].

(١) المصدر السابق، ص ٤١ ـ ٤٢.

الصدق والإخلاص

«إنّ الصدق والإخلاص هما الشرط الأول، فنحن إذا لم نجد في شخص ما الصدق والإخلاص، فالإحتمال كبير بأن لا يكون عمله نافعاً، بل قد يرتكب الأخطاء في أوقات (متعددة). الإنسان الذي يفتقد الصدق والإخلاص، لكنه يمتاز بالفعالية مثله كمثل سيارة إن نحن لم نفحصها ونراقبها، ثم تعطل فيها برغي، قد تجدون أنها تعرّض حياة الإنسان للأذى.

إنّ فعالية الإنسان هي أن ينجز كل فرد العمل الذي يتولى مسؤوليته، بإخلاص وصدق ونية صحيحة كي يُعدّ إنساناً ولا يكون آلة»[1].

الجهاد والمحنة سببان للذة المعنوية

«إنني فيما يتعلق بالأحداث الماضية أشعر بإحساس خاص، صحيح أن السنوات الثماني كانت مليئة بالحرب والإضطراب والقلق وما يدمي الفؤاد، وصحيح أنه لم يكن يمر يوم كنا نستيقظ فيه من النوم دون أن نتجرع بشأن قضايا البلد الأساسية ـ والتي كانت الحرب على رأسها وأهمها ـ القلق والغصص. وصحيح أن الحرب فرضت علينا مشاكل وأزمات كثيرة.. لكن، وبسبب أن هذا الواقع كان في طريق الخدمة والمحبة والهدف الذي يعشقه الإنسان ويطلبه، فإن كل عناء هو لذة بوجه من الوجوه.. إنّ ما يتحمله الإنسان في بعض الأحيان من عناء في سبيل الله من أجله، والحمل الثقيل الذي يحمله على كتفيه، والإضطراب والمحنة اللذين يستشعرهما في روحه، لا يمكن حقيقة أن يُعوّض بأي شيء آخر»[2].

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٥ ـ ٤٦.

لإرادتنا دور في صناعة المستقبل

«... فيما يدور بشأن المستقبل، ينبغي أن يقال بأننا لا نعرف المستقبل كيف سيكون، وليس لدينا من اطلاع حوله، وكل ما نملكه من تصورات مبني على الحدس والتحليل.. غير أن هذا الحدس في الواقع ممتزج بإرادتنا، أي أننا لا نسمح بأن يتحرك المستقبل في اتجاه ما، بعيداً عن إرادتنا ورغباتنا، ونحن نريد لإرادتنا أن يكون لها دخل في صناعة هذا المستقبل؛ فإن ذلك من خصائص الإنسان المؤمن الذي يحمل هدفاً (في حياته). فإذا امتلكنا هدفاً، وأضحى مشخصاً إلى أين نريد أن نذهب، وكان لنا عزم على المضي قدماً، حينها يصبح المستقبل قابلاً للحدس، ويكون هذا الحدس نابعاً من إرادتنا»[1].

الشهادة

«تُعدّ الشهادة أحد المفاهيم التي لا معنى لها بمعزل عن الأديان. فعلى الرغم من أنه في جميع الشعوب والبلدان يطلقون على كل شخص يقتل في سبيل الأهداف القومية وصف (الشهيد).. إلا أن حقيقة وصف (الشهيد) ومعناه لا يصدق إلا حيثما يكون الدين موجوداً.

فالشهيد هو ذلك الإنسان الذي يُقتل في سبيل الأهداف المعنوية، وهو الذي يبذل روحه ـ الرأسمال الأساسي لكل إنسان ـ من أجل الهدف والمقصد الإلهي، وهو الذي يُخلد الله تعالى ـ جواباً على هذا الإيثار والتضحية العظيمين ـ حضوره وذكره وفكره في شعبه وأمته، ويبقى على أهدافه حية.

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٧.

هذه هي ميزة القتل في سبيل الله. فالأشخاص الذين يُقتلون في سبيل الله هم أحياء، أجسادهم ليست حية، لكن وجودهم الحقيقي حي»[1].

حقيقة كل إنسان

«إنّ حقيقة كل إنسان تتمثل في مقصده وفكره وهدفه وطريقه. الشخص الذي يُقتل لأهداف شخصية ودنيوية، يُدفن هدفه معه ويزول (بزواله). فكل هدف ينبع من نفس الإنسان، يكون متعلقاً به، ويموت بموت هذا الإنسان ويتلاشى؛ وأما الهدف الإلهي الذي ينبع من الغيب وإرادة الله، والذي يضحي الإنسان لأجله، فإنه لا يموت بموت الإنسان.

فلو جاهد إنسان من أجل الأهداف السامية والإلهية وعانى (في هذا الطريق) ثم قُتل؛ فإن ذلك الهدف يحيى، ووجود هذا الشخص يضحي من وجود ذلك الهدف، وتتشكل هويته الواقعية على أساسه.. ولهذا السبب، لا زال الأنبياء والمصلحون أحياء»[2].

الشهادة موت الذكي العاقل

«إنّ الموت حق على الجميع. ونحن إن متنا في سبيل الله، لا نكون قد فقدنا أي شيء حتى وفق الموازين المادية والظاهرية أيضاً. الموت مصيرنا المحتوم. وهذا (الروح) متاعٌ سنخسره من أيدينا في النهاية، غير أن متاع الروح قد يفقد بنحوين: الأول، هو أن نضيع هذه الروح، والثاني، هو أن نبيعها. فأي منهما هو الأفضل؟

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٥ـ ٦٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٦٦.

إنّ الذين لا يُقتلون في سبيل الله، يكونون قد أضاعوا أرواحهم، وفي المقابل هم لا يملكون في أيديهم شيئاً. وأما أولئك الذين يقدمون هذا المتاع في سبيل الله، ويبذلون أرواحهم لأجله، هم أشخاص قد باعوا (في الحقيقة) أرواحهم، وقبضوا أمراً آخر عوضاً لها: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾[1].

فالشهيد إذاً قد باع روحه، وحصل في مقابلها على الجنة ورضى الله؛ وهما أرفع الأثمان.

فلننظر إلى الشهادة في سبيل الله من خلال هذه الرؤية: الشهادة هي موت الأذكياء والعقلاء من الناس، الذين لا يسمحون لهذه الروح بأن تفلت مجاناً من أيديهم، ودون أي مردود يعود عليهم. فهذه الروح رأسمالنا الأساسي، وهي لا تميّز بين الموت (المعتاد) والشهادة، بين الشيخوخة والشباب. كثيرون هم الذين لا يُقتلون في سبيل الله، لكنهم يموتون في مرحلة الشباب. وما أكثر هؤلاء الشباب الذين يموتون (موتاً معتاداً)، إلا أنهم في الحقيقة قد خسروا أرواحهم. (أمثال هؤلاء) إن لم يتحركوا في طريق الله، ولم تكن مسيرتهم مسيرة إلهية، ولم يكن موتهم وهجرتهم وجهادهم في سبيل الله، فسوف يفقدون من أيديهم متاع العمر ـ وهو أمر عزيز جداً ـ ولن ينالوا لقاءه أي عائد على الإطلاق»[2].

---

(١) التوبة: ١١١.

(٢) حديث ولايت، الجزء الثاني، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٦٧ـ ٦٨.

الشهادة أعلى أجور الجهاد

«لو شاء الله تعالى قبول هذا الدعاء من شخص، وذلك بأن يجعل موته في الشهادة، فإنه يكون قد أعطى هذا الإنسان أعظم امتياز على الإطلاق. لكن، لماذا تُمنح كل هذه العظمة والأهمية للشهادة؟

يرجع السبب في ذلك إلى أن الإنسان الذي يقدم روحه في سبيل الله، هو في الحقيقة إنسان قد أدى ما عليه من عمل ضروري، في لحظة وفي وقت احتاج الدين إلى أناس يعزونه وينصرونه.

إنّ الشخص الذي يجاهد في سبيل الله، ويتخلى عن الراحة و (القرب من) الزوجة والولد، وعن الهدوء والإمتيازات المادية (لحساب ذلك)، سوف يلحقه الأجر الإلهي ـ وهو الشهادة؛ وفي هذا مؤشر على عظمة جهاده. ولهذا أيضاً ذكرت عدة مرات (إلى الآن) بأن الشهادة هي أعلى أجور الجهاد في سبيل الله»[1].

سر التوفيق

«أيها الأخوة! كلما أكدتم أكثر على التمسك بالأصول الإسلامية والتعاليم (الإلهية)، سوف تزدادون توفيقاً.. فحافظوا على ذلك.. ولا تظهروا بشأن هذه المسألة أي تنازل أو لين..

ففي كل موقع نظهر فيه تمسكاً واعتقاداً دينياً قوياً، سوف يشعر العدو بوجود شيء من القدرة في نفوسنا. ولأنه لا يعرف معنى هذه القدرة جيداً، فسوف تتملك

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٨ ـ ٦٩.

عظمتها كل قلبه. فمثل هذا الإعتقاد والإقتدار هو العظمة (الحقيقية)، وإلا فإن مظاهر القدرة المتعارفة، كالمال والثروة والعلم والسلاح.. قابلة للفهم والتصور، وهناك الكثيرون من الذين يتمتعون بها أكثر منا.

وأما الشيء الإستثنائي الموجود فينا، والذي يعطف علينا أنظار الدنيا ويجلب لنا احترام الآخرين، فهو نفس تمسكنا بفكر ومعتقد إلهي نقوم نحن باعتناقه»[1].

صعوبة حفظ النعمة واستمرارها

«إنّ حفظ واستمرار النعم الإلهية ـ المادية منها والمعنوية ـ يُعدّ أكثر صعوبة من الحصول عليها.. ولقد أصابنا ما أصاب الأمم السابقة في التاريخ، من شمول نعم الله لهم، إلا أن أولئك لم يتمكنوا من حفظ هذه النعم لأنفسهم. فقد خوطب (بنو إسرائيل) مرات عدة في القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2]، غير أن نفس (بني إسرائيل) هؤلاء، وبسبب عدم شكرهم وقدرتهم على حفظ النعمة الإلهية، وصلوا إلى مرحلة، خاطبهم القرآن فيها بقوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾[3]؛ وتاريخ البشر والشعوب مليء بتجارب أشخاص أو شعوب حصلوا على النعمة، لكنهم لم يستطيعوا حفظها»[4].

---

(١) المصدر السابق، ص ٧٥ـ ٧٦.

(٢) البقرة: ٤٧.

(٣) البقرة: ٦١.

(٤) حديث ولايت، الجزء الثاني، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٧٩ـ ٨٠.

لا تنزعوا بُغض الشياطين وأتباعهم من قلوبكم أبداً

«.. يجب على الشعب أن لا يخرج من قلبه بغض الشياطين وأتباعهم أبداً. لا تقولوا أن ما مر قد مر، وانتهى الأمر، وأنه لا داعي لتذكر ما حدث بعد الآن. كلا، فديننا يتلخص في هذا الأمر: هل الدين إلا الحب والبغض[1].

الدين هو عبارة عن الحب والبغض: حب الصالحين والفضائل، حب المظلومين والناس الذين تعرضوا لجور الشياطين. ومن جانب آخر، بغض الشياطين وشرار الخلق، والرذائل، وكل الأشخاص الذين لا قيمة للإنسان والإنسانية ولله عندهم، إنّ هذا جزء من الدين. التولي والتبري أحد فروع الدين، وعلى رأي بعض من العلماء هما أحد أصوله.

فلا تنسوا قبح وجه أعداء الله وأعداء الناس. فإن فعلتم، سوف يبدل هذا العدو وجهه ويقوم بالإقتراب (منكم) أكثر. والعدو الذي يقترب إنما يقوم بذلك لأجل أن يوجه ضربة لا لأجل الملاطفة.

.. إذا شعرتم أن بغضكم وحنقكم على هذا العدو قد ضعف في نفوسكم وقلوبكم، فتلك علامة خطر شخصي فيكم؛ يجب أن تدركوا أن درجة الإيمان هي في حالة تراجع. ونفس الشيء فيما يتعلق بمحبة عباد الله، حيث يجب أن تقوى هذه المحبة وتتجذر يوماً بعد يوم.

---

(١) بحار الأنوار، ج٦٨، ص ٦٣.

إنكم إذا لم تتخذوا الشيطان عدواً، فسوف يأتي ليسد عليكم طريقكم إلى الله؛ وهو أمر لا يمكن جبرانه»[1].

يجب أن نوجد تحولاً وتبدلاً في قلوبنا

«ليس كافياً أن يفكر المجاهدون في سبيل الله وترسيخ حاكمية الإسلام، ببناء المجتمع والحكومة الإسلاميين فقط ـ وإن عُدّ ذلك تكليفاً بالغ الأهمية وواجباً عظيماً، بل لعله يعتبر أكثر واجبات المؤمن والمسلم أساسية ـ إذ من اللازم وجود جهاد آخر ـ ولعله أشد صعوبة ـ إلى جانب الجهاد الذي نقوم به من أجل تأسيس النظام الإسلامي وتطويره وتأمين انتصاره، وذلك لكي يحدث تحول وتبدل في وجودنا وقلوبنا وأرواحنا.

بدون هذا التغيير لم تكن الثورة لتنتصر؛ ولأجل استمرارها وانتصارها واستقامة هذا الخط وعدم وقوع الإنحراف ـ حيث يعدّ هذا الأمر أهم من سائر الأمور ـ نحتاج جميعاً إلى إحداث تغييرات في وجودنا وأخلاقنا وروحياتنا.»[2].

---

(١) حديث ولايت، الجزء الثاني، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٩٦ ـ ٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٣٦ـ ٢٣٧.

روحية العمل والسعي

«.. لم يكن النبي الأكرم ليكتفي بمجرد توجيه الطلب للناس كي يعملوا ويجدّوا، بل كان يحيي فيهم روحية العمل والسعي ، وبأساليب مختلفة. وحيث كان يشاهد أحياناً شاباً عاطلاً عن العمل، كان يقول: إنّ الله لا يحب الشاب الفارغ»[1] [2].

حب الجميع

«إنّ جميع أفراد الناس مكلفون بجعل الفضاء (الإجتماعي العام) فضاء سالماً، فضاء تتغلب فيه المحبة على الخصومة. وهذا الأمر يُعدّ من الأمور الهامة جداً في الإسلام. فالإنسان مفطور على المحبة والبغض.. وهو أمر طبيعي في كل إنسان.. (إلا أن) الإسلام قد حدد للناس تكليفهم، وطلب منهم أن يوجهوا خصومتهم وعداءهم ضد أعداء الله والحكومة الإسلامية والشعب..

اسعوا كي تحبوا الجميع. فهذا تكليف وتعليم من تعاليم الإسلام، وهو ليس بالأمر السيئ. (كذلك) لا ينبغي إيجاد الأعذار لتبرير العداوة، فيُخرجُ الإنسانُ (منّا) كلَّ شخص بحجةٍ من داخل دائرة الذين يُحبهم ويُبعده»[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٧، ص ١٤٦.

(٢) حديث ولايت، الجزء الثاني، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٢٥٠ـ ٢٥١.

(٣) المصدر السابق، ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

اللحظات والساعات العصيبة

«إنّ اللحظات التي تمر على الإنسان وهو يسعى نحو الأهداف الإنسانية والإلهية السامية، هي لحظات مباركة. وليعلم الجميع أن تلك اللحظات والساعات العصيبة هي بمثابة تمرين للتكامل الإنساني، وأنها لا تذهب هباء.

هذه اللحظات تبعث على السير في طريق التكامل، وتمنح القوة، وتقرّب من الله العظيم، وتكون مدعاة لحصول البركة»[1].

ملاحظة التكليف دوماً

«ذكرت للإمام قدس سره مرة، أمراً يتعلق بإحدى القضايا ـ والتي قد يطول شرحها الآن ـ وقلت له بأن القرار الذي اتخذتموه كان في الحقيقة لطفاً إلهياً، وأن ما وصلتم إليه من رأي كان تدبير الله؛ وقد وقعت بعد ذلك حادثة، لولا أن الإمام كان قد اتخذ ذلك القرار، لجرّت علينا كثيراً من المصاعب والمشاكل.

ورداً على ما ذكرته قال لي الإمام (كلاماً) دونته في دفتري: (منذ بداية الثورة وحتى الآن، بدا وكأن يداً قد وقفت خلفها، وقدمت لها النصرة في جميع القضايا).

هكذا كان الإمام ينظر إلى الأحداث ويحكم عليها. فهذا المدد الإلهي قد يتخذ أشكالاً متعددة، منها ما يقول الإنسان معه بأن الله يعيننا ويؤيدنا بنصره، إلا أن العقل

---

(١) حديث ولايت، الجزء الثالث، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص ٥٠.

الكبير لذلك الرجل الحكيم والفذ، كان يرى الله في أدقِ تفاصيل ما يجري، بهذه الرؤية والوضوح.

وفي الحقيقة، إنني كنت قد أحسست بهذا خلال هذه السنوات العشر ـ بمستوى إدراكي وتدخلي في القضايا ـ وكذلك خلال هذه الأشهر التي تلت رحيل الإمام قدس سره. إنّ هذا لا يكون إلا عندما تصبح علاقتنا بالله، وإيماننا وعملنا، قائمة على المحاسبة والتنظيم والتدقيق؛ وفي الدرجة الأولى، عندما يكون أداء التكليف مهماً بالنسبة إلينا.

فليكن التكليف نصب أعينكم في كل خطوة تنوون القيام بها.. وفي كل كلمة تريدون أن تنطقوا بها، وكل عمل تعزمون على فعله»[1]

جميعنا مسؤولون

«إنّ قضيتنا ليست قضية شخص أو حكومة أو عدة أفراد من البشر، بل هي قضية الإسلام.

إنّ ما يمنعنا من أن نكون غير مبالين تجاه ما يجري من حوادث أمامنا، هو التكليف الشرعي، وما يمنعنا من أن لا نُقدِم على فعل ما نعتبره ـ قولاً وعملاً ـ ضرورياً، هو التكليف الشرعي؛ لأن القضية ليست قضيتنا الشخصية بل هي قضية الإسلام.

(١) المصدر السابق، ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

نحن عمّال وعبيد ومكلفون. ولهذا السبب عينه، نحن مكلفون بأن نختار طريقنا بدقة؛ وفي هذا الأمر، لا يمتاز فرد عن فرد آخر. جميعنا.. مسؤولون.

هذا هو خطاب الرسول الأكرم ﷺ لجميع المسلمين: كلكم راع[1]. وهو بدوره الخطاب الموجه اليوم إليهم أيضاً»[2].

قصد القيام لله

«.. لقد كانت هذه الآية مورد عناية إمامنا الفقيد والعزيز طول حياته: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ﴾[3] وبحمد الله، لم يبق شيء من الأمور الكلية في حياة إمامنا مستوراً عن أعيننا وعن أعين الشعب الإيراني.

فقد رأى الجميع أن تحركه وكلامه وسكوته هو لله، وأن كل عمل قام به، كان بقصد القيام لله.

هذا الشيء وحده هو الذي أدى إلى حدوث معجزة بيد ذلك العظيم، الذي يعدّ قطعاً تالي الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص ٣٨.

(٢) حديث ولايت، الجزء الثالث، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص١٩١.

(٣) سبأ: ٤٦.

إنّ هذا الواقع الذي حدث، والتحول العالمي العظيم الذي ظهر على أثر الثورة الإسلامية، هو بحق إحدى المعجزات. وقد وقعت هذه المعجزة على يد الإمام قدس سره، الذي تمكن من إنجاز هذا العمل بالإعتماد على أن تقوموا لله»[1].

حقيقة سعينا ومقصدنا

«يجب أن يكون التحرك في سبيل الله، والسعي في إطار الأهداف الإلهية: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[2] يجب على الإنسان أن يسعى ويكدح ويعمل؛ وإلا فهو إنسان بلا فائدة.. فما نحن في طلبه، هو تحقيق القيم والأهداف الإلهية»[3].

حكومة الصالحين

«أيها الأخوة! إننا إذا كنا أشخاصاً صالحين، وكانت الحكومة (الإسلامية) صالحة أيضاً، نستطيع أن ننشر الصلاح في كل أرجاء الدنيا؛ وقبل ذلك في بلدنا هذا. وأما إذا لم نكن صالحين، فسوف لن يحدث أي أمر إيجابي على طريق تحقيق الأهداف (التي نصبوا إليها). وكل شخص يكد ويسعى حينها، سيذهب عمله هباءً.

بناء عليه، يجب أن نكون أنا وأنتم أشخاصاً صالحين، ومعنى الصلاح ليس معنى معقداً. إنّ معناه أن نكون متدينين ومن أهل التقوى، وأن لا نغتاب وأن لا نكذب،

---

(١) حديث ولايت، الجزء الثالث، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص١٩٣.

(٢) المطففين: ٢٦.

(٣) حديث ولايت، الجزء الثالث، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص١٩٧.

وأن لا نحرس على مال الدنيا، وأن لا نكون من أهل الإهتمام بالمظاهر والزينة والكماليات، ومن أهل الإسراف والمعصية، والإدعاءات الكاذبة»[1].

المراقبة والصلاح

«نحن يجب أن نتحلى بالعفة، وأن نتنبه إلى خِسّة الطبيعة البشرية فينا. أيها الأخوة! إنّ هذه الطبيعة خطيرة جداً، والبشر عرضة للزلات والسقطات. ولأجل أن يحفظ الإنسان نفسه من السقوط، فالطريق هو أن لا يقترب من حافة الهاوية.

يجب أن نكون صالحين.. فإن صرنا كذلك، سوف يصيبنا ما وعد الله الصالحين. ولكن أعينوني بورع واجتهاد وسداد[2]، راقبوا أنفسكم وتورعوا عن محارم الله.

أيها الأخوة! إنّ هذه المراقبة إذا فقدت، فسوف نتحول نحن إلى أعداء لأنفسنا ولهذه الحكومة. وفي هذا الوقت الحاضر، الذي نلاحق فيه الأعداء الداخليين والخارجيين للحكومة ـ بدءاً من أمريكا الدموية والمجرمة، وصولاً إلى الجماعات التخريبية والمنافقين ـ ينبغي أن نحرص على أن لا يتسلل أعداء النظام إلى داخل المواقع التي نتواجد فيها.

إننا نحن الذين قضينا عمراً بهدف العمل في سبيل الله، وكنا نتمنى أن نُقتل في هذا الطريق، من الممكن لا سمح الله أن نتحول إلى أعداء هذا الطريق؛ وإذا لم نراقب أنفسنا، سوف يصير هذا الإحتمال حتمياً»[3].

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٠٤.

(٢) نهج البلاغة،الرسالة ٤٥.

(٣) حديث ولايت، الجزء الثالث، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٢٠٥ـ٢٠٦.

الهدف

«إنّ الهدف من جميع المواجهات التي قام بها شعب إيران بقيادة الإمام الكبير إلى أن انتصرت الثورة، ومن كل الجهود التي أنجزت في هذا البلد بعد انتصارها، كان لأجل تأسيس الحياة الإسلامية الطيبة.

إنّ الإسلام ينادي بمنهج حياة يليق بالإنسان ويتناسب معه. فلو تحققت فقط هذه الظروف، يستطيع الإنسان أن يصل إلى الكمال.

ولقد كانت مساعي جميع الحريصين على البشر، وهداة الإنسان، والأنبياء العظام والأولياء والمجاهدين في سبيل الله على طول التاريخ، ترمي إلى إيجاد هذه الحياة الطيبة.

ومن الجانب الآخر، كانت مساعي جميع أعداء الإنسان والشياطين والطواغيت، تهدف إلى إبعاد البشر عن هذه الحياة الطيبة. ولهذا، كان عنصر الإيمان ومعاداة الشياطين والطواغيت من الأركان الأساسية لدعوة كل الأنبياء؛ وعلى هذا أيضاً استقر عمل نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

(١) المصدر السابق، ص ٢٠٨.

القرآن الكريم

«إنّ أي شعب يريد أن يعمل بالقرآن، فخطوته الأولى هي التعرف على ألفاظ القرآن وظواهره، يجب على عامة الناس أن يأنسوا بالقرآن، وهذا الأنس يضمن التحرك نحو مفاهيم القرآن»[1].

البعثة

«إننا نفخر بأننا قبلنا هذه البعثة العظيمة بكل وجودنا وآمنّا بها، وعرفناها طريقاً للسعادة، وهذا بحد ذاته يُعدّ نعمة إلهية عظيمة.

وكل إنسان مسلم، مكلفٌ بأن يجعل البعثة النبوية تتحقق في حياته الشخصية وفي دنياه، وأن يوصل نفسه عن طريق الإيمان والعمل والتحرك نحو الأهداف التي كانت موجودة في بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، إلى جنة السعادة الإلهية والمعنوية»[2].

الأهداف المعنوية

«من المناسب هنا أن أطرح ـ وبشكل مختصر ـ بحثاً عرفانياً ومعنوياً، حيث قلّما نتوجه إلى الحقائق الموجودة في هذه الأبحاث، مع العلم أن أكثر الحقائق موجودة فيها.

وهذا البحث يدور حول الهدف من هذه الحياة في الأساس.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٥٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٧٠.

فحينما تملؤون سيارتكم بالبنزين، وتضعون الزيت في المحرك، وتهيئونها، فذلك لأجل أن تركبوها وتصلوا إلى مكان ما.

فلو ملأ شخص خزان الوقود، وركب السيارة وأدار محركها، وذهب نحو محطة البنزين التالية، ثم ملأ هناك خزان الوقود من جديد، وعاد وأدار المحرك، وتوجه نحو محطة بنزين ثالثة، فكرر نفس هذا العمل ثم تابع مسيره، فأي هدف يكون قد سعى وراءه، وأي فائدة قد حصّل؟! هذه ليست بحياة!

فإن كان الهدف من ملء الوقود وتهيئة السيارة هو أن نتحرك من أجل الوصول إلى مكان ما، لنقوم بعدها بهذا العمل نفسه من جديد، لا نكون قد سعينا وراء أي هدف محدد.

هذا المحرك الذي اسمه جسمكم ووجودكم، لأي سبب تهتمون به؟ هل نحن نتناول الطعام لنحيا ونمضي في طريقنا (ومن ثم) لنتحرك ونسعى ونؤمن الخبز ثانية فنأكل مرة أخرى؟! إننا فيما لو حصلّنا هذا الخبز وتناولناه، فسوف نكسب من ذلك الحياة والحرارة والحركة والقدرة من جديد. لكن ما الذي ينبغي حقيقة أن نفعله بهذه القدرة؟ هل نتحرك مرة أخرى نحو الخبز؟ هذه ليست بحياة! هذا أمر عبثي لا قيمة له. أفهل يظل الإنسان على مدى السنين المترامية يأكل كي يتمكن من العمل، ثم ليؤمّن بعمله ما يأكله؟ إنّ هذه لدورة دائمة لا طائل وراءها. إنّ هذه حياة لا فائدة فيها.

أنا أملأ سيارتي بالبنزين كي أتمكن من الوصول إلى حيث المحبوب والمعشوق، والى حيث لدي عمل هناك، بالطبع عندما أريد أن أصل إلى ذلك

المكان، فإنني أختار طريقاً تقع عليه محطة للبنزين. لكن الهدف ليس هو محطة البنزين تلك؛ الهدف هو ذلك المكان.

نحن يجب أن نتناول الطعام كي نملك القدرة والحياة لأجل الوصول إلى مقصد. فما هو ذلك المقصد؟ هذا ما يجب أن نبحث عنه. وما هو ذلك المعشوق؟ هذا ما ينبغي السعي خلفه. إنه الأهداف والآمال التي تتعدى حدود أجسامنا، وسعينا هو من أجل ذلك»[1].

كسب رضى الله وأداء التكليف

«... لقد عُدّ أداء التكليف أمراً بالغ الأهمية في كلام إمامنا العظيم، الذي كان رجلاً حكيماً وإنساناً واسع الأفق وبعيد النظر، وليس مجرد عالم دين مختص بالفقه والأصول والفلسفة.

مراراً كان يقول بأننا نتحرك من أجل أداء التكليف، وأننا لا نسعى حتى وراء النصر. بالطبع، نحن نحب النصر، وليس هناك من شخص يستاء بسببه. وليس هناك من شخص لا يسعى من أجل تحقيق النصر، لكن الهدف النهائي هو شيء أرفع حتى من النصر نفسه، وذاك هو كسب رضى الله وأداء التكليف.

إنني إذا ما أنتصرت، ولكن أدى ذلك إلى ابتعادي عن الله، أكون قد هُزمت. وإذا لم أحقق ـ لا سمح الله ـ هدفي، لكنني أديت تكليفي، فهذا هو النصر والتكامل.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٨.

نحن يجب علينا أن نؤدي تكليفنا. وفي ذلك الوقت الذي يشعر فيه كل واحد منكم بدوره أنه لا يحب تكليفه.. ولا يهتم بذلك العمل (الذي يؤديه)، فعليه أن يستشعر القلق، لأنه يبتعد عن الله.

إنّ الأمر يستحق أن يستشعر الإنسان القلق، حتى ولو لم تكن القضية معلومة في الظاهر، ولم يدركها رؤساؤنا ومرؤوسونا. لا تظنوا أنه إذا كان ظاهر العمل صحيحاً، لكنكم لا تظهرون الإهتمام، أنكم قمتم بما عليكم. إنّ باطن القضية هو أن الله يعلم، وهو مطلع أنكم تبتعدون.

في ذلك الوقت الذي تبذلون الجهود بكل محبة واهتمام في عملكم، وتعلمون أن الله عالم وراضٍ، فانعموا بالسرور حينها، حيث أنكم قد قمتم بما عليكم، ووصلتم إلى الهدف. وهذا هو الصلاح والنجاح والفوز؛ أي الوصول ونيل الهدف.

إنّ هذه الحالة إذا استمرت عليكم أن تنعموا بالرضى،لأن هذا هو صلاحكم الدائم والأبدي، ونحن نسعى وراء ذلك»[1].

الإنقطاع إلى الله علّة الشهادة

«إنه وعلى الرغم من أن الوجود المقدس لسيد الشهداء عليه السلام قد عُرف من خلال بعد الجهاد والشهادة، إلا أن ذلك العظيم هو في الحقيقة مظهر الإنسان الكامل، والعبد الخالص والمخلِص والمخلص من الله.

(١) المصدر السابق: ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

وفي الأساس، لا يمكن للجهاد الواقعي وللشهادة في سبيل الله أن يحصلا دون هذا الإخلاص والتوجه، ودون التحرك باتجاه الإنقطاع إلى الله. يقول في المناجاة الشعبانية العالية المضامين: إلهي هب لي كمال الإنقطاع إليك. فكيف يحصل للإنسان كمال الإنقطاع إلى الله، والتحرر من كل الأشياء، وتجاوز جميع الموانع والتعلقات في طريق السفر إلى المحبوب الواقعي، والعروج إليه؟

إنّ الشهادة التي تمثل قيمة تضحية إنسان ما، لا تتحقق دون التحرك نحو الإنقطاع، ودون السعي والمجاهدة لإيجاد الإنقطاع إلى الله.

وفي كل مرة بذل فيها إنسان جهداً ما، وخطا الخطوة الأولى بهمة وعزم وإرادة، يفتح الله تعالى حينها الطريق أمامه، وتقاد الخطى ـ الواحدة تلو الأخرى ـ نحو نورانية الفؤاد ووجود الإنسان.

إنكم إذا عزمتم فستطوون الطريق، وسيساعدكم الله تعالى في متابعتها، ويسهّل العمل عليكم ـ وكما طلب ذلك العظيم في المناجاة الشعبانية ـ يمنحكم كمال الإنقطاع إلى الله. والتدبر في هذه المضامين والألفاظ، والتوجه إليها والأنس بها، يعدّ أمراً واجباً ولازماً وضرورياً لكل فرد من الأشخاص الذين يريدون أن يعملوا بتكاليفهم الكبرى»[1].

(١) المصدر السابق، ص ٢٨٧.

سر نجاح الإمام قدس سره

«إنني أعتقد بأن إمامنا العظيم والفريد ـ حيث لا نعرف في الواقع نظيراً له في هذا الزمان، وقلّما يوجد مثله بعد أئمة الهدى وأولياء الله عليهم السلام ـ لو لم يكن من أهل الأنس بهذه المفاهيم (المعنوية في الأدعية..) ولم يكن مشتغلاً بالمناجاة والدعاء، ولم يكن من أهل التضرع والإستغفار والإستغاثة والبكاء والتوسل، لكن من المستبعد جداً أن يمنحه الله تعالى كل هذا التوفيق.

إنّ نجاحات هذا العظيم، مرهونة بشكل كبير لنفس هذا الإرتباط بالله، ولانفتاح قلبه على محضر الله، وللإستغاثة والمناجاة والدعاء.

إنّ الهداية الإلهية لا تصل إلى الأشخاص الغافلين. وهذا هو معنى ما يقوله في المناجاة الشعبانية: وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك.

فإنارة بصر الفؤاد، وتوضيح الحقائق للقلب اليقظ ولعين المؤمن البصيرة، لا تنال مجاناً، ولا يمكن بدون المجاهدة والسعي والإرتباط بالله أن تتحقق»[1].

تقوية الإرتباط بالله

«سألتُ الإمام مرة من مرات أنك بأي دعاء من بين الأدعية المعروفة أشد أنساً واعتقاداً؟ فأجاب بعد تأمل: دعاء كميل والمناجاة الشعبانية.

وعندما تراجعون هذين الدعاءين، فمع أن أدعية أخرى موجودة ـ كدعاء أبي حمزة الثمالي أو دعاء الإمام الحسين في عرفة وأدعية كثيرة أخرى ـ إلا أنكم

(١) المصدر السابق، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨.

تشاهدون في هذين الدعاءين حالة الإستغفار والإنابة والإستغاثة والتضرع إلى الله، بأبهى صور العشق والهيمان.

ودعاء كميل بدوره مناجاة مع الله تعالى، ويقوم برسم علاقة المحبة والعشق بين العبد والمعبود؛ وهذا هو الشيء الذي كان إمامنا العظيم ينوّر به روحه وفؤاده»[1].

الصحيفة السجادية

«إنّ الصحيفة السجادية هي في الواقع كتاب عظيم الشأن جداً.

وهذا الكتاب معروف بين القدماء باسم زبور آل محمد. فأدعية هذا الإمام العظيم، بالإضافة إلى تضمنها لأعلى درجات الإستغاثة والإنابة إلى الله، تعبق بالمعارف الإسلامية. فهي ليست أدعية محضة، بل لقد عُلّمت فيها جميع المعارف الإسلامية كالتوحيد والنبوة.. في قالب الدعاء»[2].

العلاقة مع إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

«إنّ العلاقة القلبية لكل فرد مؤمن من أفراد الشعب بمقام الولاية العظمى وولي الله الأعظم لهي إحدى البركات التي تنشأ من الموقعية البارزة للمهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف في عقيدة شعبنا. فبالإضافة إلى اعتقادنا بأصل وجود المهدي وبأن شخصاً سوف يظهر، ويملأ الدنيا عدلاً وقسطاً، نحن نعرف

---

(١) المصدر السابق، ٢٨٩.

(٢) المصدر السابق، ٢٩٩.

أيضاً شخص المهدي واسمه وكنيته، وأباه وأمه، وتاريخ ولادته، وأحوال غيبته وأصحابه المقربين، وحتى بعض أحوال وقت ظهوره. ونحن، وإن كنا لا نرى تلك الشخصية المنيرة والشمس الساطعة في حياتنا، لكننا عالمون بحاله.

إنّ العلاقة التي تربط الشيعة، الذين يحملون مثل هذا المعتقد، بمقام الولاية والمهدي الموعود، هي علاقة دائمة. وكم هو حسن، بل ضروري، أن يحفظ كل واحد منا هذه العلاقة في قلبه بواسطة التوجه إلى تلك الحضرة والتوسل بها والتحدث إليها. فطبقاً للزيارات التي وردت ـ وبعضها مأثور ويُرجّح كثيراً أنه يرجع في سنده إلى المعصوم نفسه ـ تعدّ هذه العلاقة القلبية والمعنوية بين أفراد الناس وإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف أمراً مستحسناً، بل أمراً لازماً له آثار؛ لأنه يحفظ الأمل والإنتظار حيّاً دائماً في قلب الإنسان»[1].

الثقة والأمل بالمستقبل بعد من أبعاد الإنتظار

«يُعدّ الإنتظار إحدى أكثر حالات الإنسان بركة؛ وذلك في انتظار دنيا منيرة بنور العدل والقسط: يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً»[2].

مثل هكذا يوم يجب أن ينتظر، ولا ينبغي بأن تطفئ أعمال الشياطين، وظلم طواغيت العالم وعدوانهم، شعلة الأمل في القلب.

يجب أن ينتظر. الإنتظار أمر عجيب، وله أبعاد عديدة. إحدى أبعاد الإنتظار، هي الثقة والأمل بالمستقبل، وعدم اليأس.روح الإنتظار هذه التي تعلّم الإنسان أن

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٢) بحار الأنوار، ج٥١، ص ٤٩.

يواجه في سبيل الخير والصلاح. فلو لم يكن الإنتظار والأمل موجودين، لا معنى لهذه المواجهة، ولو لم يكن الإطمئنان بالمستقبل موجوداً أيضاً، لما كان للإنتظار معنى. الإنتظار الواقعي متلازم مع الإطمئنان والثقة.

إنّ الشخص الذي تعلمون بمجيئه، هو الذي تقومون بانتظاره. وانتظار شخص لا تثقون ولا تطمئنون لمجيئه، ليس انتظاراً حقيقياً.

الثقة ملازمة للإنتظار، وكلاهما ملازم للأمل. واليوم، يعتبر هذا الأمل أمراً ضرورياً لكل شعوب الدنيا وأفرادها»[1].

علاج المسلمين بالعودة إلى القرآن

الحمد لله الذي منّ علينا بالأنس بالقرآن، وإذا ما استطاعت أمة ما أن تحيا في الأجواء القرآنية، وتتنعم بالمعارف القرآنية عبر الأنس بالقرآن، فإنها ستستطيع التغلب على مشاكلها؛ فالمشكلة الكبرى التي يعاني منها المسلمون هي البعد عن القرآن، ويكمن علاجها في العودة إليه.

إنّ القرآن ليس للتلاوة في الزوايا، بل هو للعمل والعلم والمعرفة، ولأن يفهم المجتمع الإسلامي تكليفه، وللتخلص من التيه والظلمات. وجلسات القرآن وتلاوته ما هي إلا مقدمة لمعرفة المفاهيم القرآنية؛ وهنا يكمن الخلل فينا.

---

(١) حديث ولايت، الجزء الثالث، مركز طباعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ.ش، ص٢٠٨. (DA) ملاحظة: (إنّ رقم الهامش الأخير في الجزء الأول من هذا الكتاب هو ١٧٧).

فنحن المسلمون نتحدث عن القرآن غير أننا لا نعمل به، ونتفوه بمحبة الله غير أننا لا نتبع دينه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[1]. فالدليل على صدق من أحب الله هو اتباعه للنبي ﷺ والقرآن.

أيها الأعزاء! أيها الشباب الأعزاء! إنّ تلاوة القرآن فضيلة كبرى فيها عظيم الأجر، بيد أنها وسيلة للمعرفة، والقرآن بحر واسع كلما مضيتم به قُدُماً ازددتم ظمأً ورغبة وازدادت أفئدتكم نورانية، فلا بد من تدبر القرآن.

القرآن والإسلام يمنحان الإنسان العلم والرفاه والعزة والسكينة: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾[2]، ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾[3].

فبالإضافة إلى ما فيه من لذة دنيوية ورفاه مادي وقدرة علمية، فهو يضفي السكينة والإطمئنان والإستقرار؛ وهذا ما تمت تجربته على مرّ التاريخ، وهو قابل للتجربة في عصرنا الراهن. هذا هو سبيل الفلاح اليوم للأمة الإسلامية، والقرآن هو المقدمة وبمثابة الصراط المستقيم لها»[4]

---

(١) آل عمران: ٣٠.

(٢) الفتح:٤.

(٣) الفتح: ٢٦.

(٤) من خطبة له بتاريخ ٢٧ رجب ١٤٢١هـ طهران.

وقع اختياري اليوم على رواية وردت في كتاب (الإرشاد) للشيخ المفيد.. إلا أنني نقلت نصها من كتاب «الأربعون حديثاً» لسماحة الإمام الخميني قدس سره وهو كتاب في غاية الحسن والفائدة.. يقول الراوي: كنا عند الإمام الصادق عليه السلام، فجرى ذكر أمير المؤمنين ومدحه الإمام الصادق عليه السلام بما هو أهله: «والله ما أكل علي بن أبي طالب من الدنيا حراماً قط حتى مضى إلى سبيله»؛ أي أنه كان يتجنب أكل الحرام، ويتجنب المال الحرام، ويتجنب المنال الحرام، والمراد طبعاً هو الحرام الواقعي الحقيقي، وليس الحرام المنجز حكمه بالنسبة له، أي أنه كان يبتعد حتى عما كان في شبهة.

«وما عرض له أمران كلاهما رضاً لله إلا أخذ بأشدهما عليه في بدنه»؛

فإذا عرض له نوعان من الطعام كان يختار أدناهما، وإذا عرض له نوعان من الثياب كان يختار أردأهما، وإذا عرض له عملان كلاهما حلال كان يختار أصعبها عليه.. إذاً من المهم جداً التشدد على الذات في الحياة الدنيا ومتاعها ونعيمها.

«وما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله نازلة قط إلا دعاه فقدّمه ثقة به»؛

أي أن الرسول متى ما ألمّت به ملمة كان يستدعيه وينتدبه لها ويقدمه فيها وذلك أولاً: لعلمه بأنه قادر على أدائها على أحسن وجه، وثانياً: إنه لم يكن يتمرد على الأعمال العسيرة والمهام الشاقة، وثالثاً: كان على استعداد للجهاد والبذل في سبيل الله، ففي ليلة المبيت.. وفي الحروب.. وفي جميع القضايا الأساسية والمهمة

التي كانت تعرض للرسول ﷺ كان يقدم لها علياً ثقة منه به.. والإنسان المسلم السائر على نهج علي، يجب أن يسير على هذا الخط، وأن يتقدم إلى الأمام بأسرع ما يمكن.

«وما أطاق أحد عمل رسول الله ﷺ من هذه الأمة غيره، وإن كان ليعمل عمل وجلٍ كان وجهه بين الجنة والنار..»؛

أي على الرغم من كل هذه الأعمال الإيمانية الكبرى، كان سلوكه سلوك إنسان يعيش بين الخوف والرجاء، فهو كان يخشى الله وكأنه متأرجح بين الجنة والنار:«**يرجو ثواب هذه ويخاف عقاب هذه**».

وخلاصة هذا الكلام هي أنه على الرغم من كثرة جهاده وبذله وعبادته إلا أنه لم يغتر بشيء من ذلك، في حين إذا صلى أحدنا ركعتي نافلة وقرأ بضعة جمل من الأدعية وأراق دمعتين، يغتر بعمله الضئيل هذا ويتفاخر ويتصور نفسه وكأنه أصبح (طاووس العليين)، أما أمير المؤمنين فلم يغتر بكثرة عمله الصالح.

أما لماذا يخاف أشخاص كالرسول وكأمير المؤمنين والسجاد ـ وهم الذين خلق الله الجنة من أجلهم ـ نار جنهم ويستعيذون بالله منها فهو بحث آخر.

نحن أناس صغار وضعفاء وقصيرو النظر ولا ندرك عظمة الله، ومثلنا في ذلك كمثل طفل صغير يلعب أمام شخصية علمية كبرى ويجيء ويذهب غير آبه لوجود هذه الشخصية، وذلك لأنه لا يعرف حقيقة هذه الشخصية، في حين تجد أن والد ذلك الطفل الذي يفوق عقله عقل طفله مائة مرة يتواضع لتلك الشخصية. وهكذا

حالنا أمام الله تعالى.. أما الذين وصلوا من مرحلة العلم إلى مرحلة الإيمان ومن مرحلة الإيمان إلى مرحلة الشهود، ومن مرحلة الشهود إلى مرحلة الفناء في الله، أولئك تتجلى عظمة الله أمام أبصارهم بشكل تتضاءل أمامه قيمة كل عمل صالح يعملونه، ويشعرون على الدوام وكأنهم لم يعملوا عملاً صالحاً، وأنهم مدينون لله.

«ولقد أعتق من ماله ألف مملوك فيطلب وجه الله والنجاة من النار مما كدّ بيديه ورشح منه جبينه»؛

أي أن الأموال التي أنفقها على عتق أولئك المماليك لم يحصل عليها بالمجان، وإنما حصل عليها بتعب يديه وعرق جبينه وبالعمل الشاق، سواء في عهد الرسول أم في فترة الخمسة وعشرين سنة، أم في عهد خلافته، إذ يستدل من بعض الآثار والدلائل أنه كان يعمل أيضاً في زمن خلافته، فكان يحفر القنوات ويحيي الأراضي ويزرعها ويحصل على المال من هذا الطريق ثم ينفقه في سبيل الله.

«وإنه كان ليقوت أهله بالزيت والخل والعجوة»؛

أي أن طعامه العادي الذي كان في داره هو الزيت والخل والتمر من الدرجة المتوسطة أو الرديئة، وكان طعامه يشبه الخبز واللبن أو الخبز والجبن في عرف مجتمعنا في الوقت الحاضر.

«وما كان لباسه إلا كرابيس، إذا فضل شيءٌ عن يده دعا بالجَلَم فقصّه»؛

أي أنه لم يكن يرتضي لنفسه حتى الزيادة في الأكمام، وإذا زاد القماش عن ذلك دعا بمقص فقصّه لكي يستخدم ذلك القماش في خياطة شيء آخر، لأن

القماش كان قليلاً في ذلك العصر، وكان الناس يواجهون مشكلة في الحصول عليه.

ثم تحدث (الصادق) بعد ذلك عن عباداته، وجاء في هذه الرواية:

«**وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقرب شبهاً في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام، ولقد دخل أبو جعفر عليه السلام ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه قد اصفر لونه من السهر وومضت عيناه من البكاء..**» فتألم الإمام الباقر لما شاهده من حال أبيه، فقال: (**فلم أملك حين رأيته بتلك الحال إلا البكاء، فبكيت رحمة الله**) وكان الإمام السجاد متفكراً ـ والتفكر عبادة ـ فأدرك بالفراسة سبب بكاء ولده الباقر، فأراد أن يقدم له درساً فرفع رأسه وقال: «**يا بني أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب**»، ويبدو أن هناك كتابات ومدونات في باب قضاء أمير المؤمنين وحياته وأحاديثه كانت موجودة لدى الأئمة، ويستشف من مجموع الروايات الأخرى أنهم كانوا يرجعون إلهيا ويستفيدون منها في مواقف شتى.

يقول الإمام الباقر: (**فأعطيته فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً وقال: من يقوى على عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام**)، أي أنه كان يرى بوناً شاسعاً بينه وبين علي عليه السلام[1].

(١) من خطبة له بتاريخ ٢٢ رمضان ١٤٢٠هـ طهران.

البشرية بحاجة إلى خصال علي عليه السلام

علي الذي نعشقه أنا وأنت، وتعشقه الدنيا، ويكتب المسيحي كتاباً عنه انطلاقاً من عشقه له، ويثني عليه حتى من لا يلتزم عملياً بأحكام الدين، لماذا تنظر له عن بعد؟ اقترب منه وانظر إليه عن كثب. كل من ينظر إلى قمة عن بعد ينبهر بها، ولكن يجب عليه أن ينطلق ويجتاز المنعطفات والمسالك الوعرة ويقترب إليها. البشرية اليوم بحاجة إلى الخصال التي كان أمير المؤمنين رفع لواءها، لأنها خصال لا تبلى بتقدم العلم والتكنولوجيا.. فالعدالة لا تبلى والإنصاف لا يبلى، والدعوة إلى الحق لا تبلى، ومقارعة الغطرسة والتجبر لا تبلى، وارتباط القلب بالله تعالى لا يبلى، لأن هذه الخصال ثابتة في فطرة الإنسان على امتداد التاريخ. وقد كان أمير المؤمنين رافعاً لواء هذه الخصال.

البشرية اليوم متعطشة لهذا الكلام ولهذه الحقائق، فما هو الحال إذاً؟ الحل يكمن في الإقتراب والدنو، فلا نستكثر ساعة عبدنا الله بها في الليل أو النهار ويداخلنا العجب بأنفسنا، فعليٌّ كان كذلك. ولا نستعظم موقفاً تقحّمنا فيه المخاطر، فعليٌّ كان كذلك. عليكم بالإقتراب من خصال علي قدر المستطاع. يا أيها الصائمون! يا أيها المصلّون! يا مصلّو النوافل! أيها المجاهدون في سبيل الله! أيها المتقحّمون المخاطر! أيها الزهّاد في الدنيا! يا أسود النهار ويا أيها العبّاد في الليل! هنيئاً لكم. فأنتم أقرب إلى علي، ويمكنكم أيضاً أن تكونوا أقرب فأقرب[1].

---

(١) المصدر السابق.

وألزمهم كلمة التقوى

أيها الأعزة! أيها الأخوة والأخوات! متى يمكننا أن نؤدي دوراً فاعلاً؟ يمكننا ذلك في وقت (وألزمهم كلمة التقوى) أي عندما نتخذ التقوى كلمة ثابتة وكلمة حق وتكليفاً دائماً. يجب أن نضع التقوى نصب أعيننا في القول والفعل، في عملنا مع زملائنا، وعند اتخاذ القرارات، ومع العاملين تحت إمرتنا، لأن التزامنا بالتقوى درس لهم..»[1].

التقوى وسيلة وأسلوب للعلاج

يجب أن ندرك أن الباري تعالى إذا لم يعاملنا بلطفه وفضله ورحمته فسنكون في موقف عسير، فلكل واحدة من تفاصيل نفقاتنا ومصاريفنا وتعاملنا وسلوكنا مع الناس حساب عند الله.

وفضلاً عن وجوب التفكير في الحساب الإلهي، يجب أن ندرك أيضاً أن التقوى تفتح أمامنا السبل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[2]، فالتقوى تساعد على التخلص من جميع الطرق المسدودة أمام الإنسان، وخاصة في المجال الاجتماعي، وفي المعضلات الكبرى تفتح التقوى أمام المسؤولين سبل الخلاص: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[3].

---

(١) من خطبة له بتاريخ١٦ رمضان ١٤٢٠ طهران.

(٢) الطلاق:١ ـ ٢.

(٣) المصدر السابق.

التكبر وعلاجه

إنّ من بين الخصال المذمومة التي تعرض سلامة النفوس وراحة الحياة إلى الخطر هو التكبر الذي يعتبر من أذمّها.

فالخيلاء والطغيان النابعان من هذه الخصلة يدفعان الإنسان إلى الإغماض عن الكثير من الحقائق والتخلي عن مدارج الفضيلة، وتقودان إلى زرع الأحقاد والعداوات الباطلة، وإفراز الأمراض والأعمال القبيحة في المجتمع.

إنّ العبادات الإسلامية وعلى رأسها الصلاة تعد العلاج الناجح لقلع هذه الآفة من روح الإنسان. والصلاة التي تقام بحضور قلبي وبآدابها، ترشد روح الإنسان إلى حاجاته الذاتية، وتطهره من الكبر والتفاخر والخيلاء الموهوم. والخشوع في مقابل البارئ عز وجل يشع على القلوب نور البصيرة ويطهرها من دنس الكبر والخيلاء: «**فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك والصلاة تنزيهاً من الكبر**».

وما أحلى أن نصغي إلى كلام أمير المؤمنين عليه السلام، ونسمع من مدحه وثنائه للصلاة.. فقد ورد عنه عليه السلام في نهج البلاغة: «**وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضات، تسكيناً لأطرافهم وتخشيعاً لأبصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيضاً لقلوبهم وإذهاباً للخيلاء عنهم**»[1].

---

(١) من خطبة له بتاريخ ٢٩ جمادى الأولى ١٤٢١هـ

الأبعاد المختلفة للحج

إنّ الحج ـ من ناحية ـ مظهر المعنويات والإرتباط بالله، ومعرفة القلوب بآيات الله والتقرب إليه قدر المستطاع، كما أنه ـ من ناحية ثانية ـ مظهر وحدة الأمة الإسلامية وانسجامها، ورفع الحواجز والحجب ورأب الصدع الذي أوجدته أيادي الأعداء أو عوامل التعصب والوهم، وكذلك اتخاذ خطوة نحو أمة إسلامية واحدة، ومن ناحية ثالثة، هو مظهر للبراءة من أعداء الله والبراءة من المشركين وأيادي الشرك والكفر. فلو تجسدت هذه الأبعاد الثلاثة في الحج بإذن الله لحقّق الحج فائدته المرجوة سواء بالنسبة لكم أيها الحجاج أو بالنسبة للعالم الإسلامي والمجتمع الإسلامي والأمة الإسلامية»[1].

التوكل على الله سبب القوة

إنّ البعض يخافون بسرعة! ولقد قلت مراراً بأن القوى الإستكبارية المتسلطة على العالم والتي تفرض سيطرتها على الدول والشعوب، تمرر كل ممارساتها عبر الترهيب. فما يتفوهون به يفوق الحقيقة.. إنهم لا يصنعون كل ما يصنعونه إلاّ عن طريق الإرهاب والتخويف.. فمن الذي لا يخاف؟ إنه المتوكل على الله.

فعندما يركن الإنسان إلى الله، فإنه لا يخشى أحداً، ولقد رأينا المصداق الحي لذلك في زماننا هذا متمثلاً في الإمام قُدِّسَ سِرُّه، كما شاهدنا آلاف المصاديق الأخرى في ساحة القتال وفي ميادين السياسة؛ فهؤلاء الشباب المؤمنون المضحون لم

---

(١) من خطبة له بتاريخ ٩ ذي القعدة ١٤٢٠ هـ طهران.

يخشوا سوى الله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[1]. لقد ظلت الأبواق والإذاعات والعناصر المعادية تقول لهم: إنّ ثمة مؤامرات تحاك ضدكم، لقد قرروا توجيه ضربة إليكم، وما إلى ذلك من المهاترات حتى يصيبوهم بالرعب والخوف، ولكنهم قالوا بثبات: ﴿حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، وعندئذٍ يقول الله تعالى: ﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[2]، وهذا هو شأن المتوكل على الله وهذا الكلام لا يدركه إلا من عاش الحرب وخاض غمارها.

إنّ الجبن صفة مذمومة جداً. فعندما يكون الإنسان وحيداً في منزله فلربما شعر بالخوف لأنه إنسان على كل حال، ولكنه عندما يكون متحملاً للمسؤولية.. فالويل له إذا شعر بالرعب! إنّ رعبه يعني ضياع الكثير من الطاقات»[3].

أفضل المواعظ في كلام أولياء الله

روي عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «**يا ابن آدم لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك**». فالموعظة التي تأتيك من نفسك تسدي النصح لعقلك وقلبك ولضميرك ولإيمانك. صحيح أن الموعظة التي تأتي من الآخرين مفيدة ومجدية، إلا أن ما هو أكثر فائدة وجدوى هو أن يكون للإنسان واعظ من نفسه:«**ما كان لك واعظ من نفسك**

---

(١) آل عمران: ١٧٣.

(٢) آل عمران: ١٧٤.

(٣) المصدر السابق.

وما كانت المحاسبة من همك» أي يجب أن لا نترك أنفسنا على هواها بل نحاسبها، فإذا صدر منّا كلام يجب أن نحاسب أنفسنا على سبب صدور ذلك الكلام. وإذا قمنا بعمل ما أو أخذنا مالاً أو أعطينا مالاً ينبغي أن نحاسب أنفسنا على ذلك العمل وعلى سبب ذلك الأخذ وعلى سبب ذلك الإعطاء. ومن الطبيعي أن محاسبة الإنسان لنفسه تكون أكثر دقة من محاسبة غيره له؛ لأنه لا يخفى عليه شأن من شؤون نفسه.

وإنك أيها الإنسان ستكون بخير«**ما كان الخوف لك شعاراً والحزن لكدثاراً**».

أي عليك أن تحذر وأن تخشى عذاب الله وسخطه وغضبه وأن تضع ذلك نصب عينيك عند محاسبتك لنفسك، واحذر أن تزلّ قدمك إلى ما يوجب سخط الله عليك، وإنك ستكون بخير ما دمت مواظباً على موعظة نفسك ومحاسبتها، وكنت على حذر وخوف من عذاب الله وسخطه؛ وسيكون في ذلك خير دنياك وصلاح آخرتك، وتهذيباً لأخلاقك وصفاء لحياتك، وإزالة لأسباب الإضطراب وفقدان الأمن في ما بينك وبين الناس، وستكون الحياة عندئذٍ طيبة هنيئة.

«**يا ابن آدم إنكميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله عزوجل ومسؤول فأعدّ جواباً**». وهذا اليوم سنقف فيه جميعاً أنا وأنت بهذه المشاعر وبهذا الكيان بين يدي الله بعد أن نبعث من التراب، سيجمعنا الله تعالى يوم القيامة ويسألنا، وعلينا أن نعدّ لذلك اليوم جوابه.

وجاء أيضاً في حديث آخر عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «**المؤمن.. يجلس ليعلم، وينصت ليسلم، لا يحدّث بالأمانة الأصدقاء، ولا يكتم الشهادة للبعداء، ولا يعمل شيئاً من الحق رئاءً، ولا يتركه حياءً**».

عندما يُسأل البعض عن سبب عدم أداء الصلاة أو النافلة في أول وقتها في الموضع الفلاني، تراه يقول إنه ترك ذلك خجلاً. وهنا تأتي نصيحة الإمام بعدم ترك عمل الخير خجلاً أو حياءً، وعليك أن لا تترك حسنة دفعاً لأسباب توجيه التهم إليك بالرياء والتظاهر، ولا ينبغي لك ترك كلام الحق وعمل الخير نزولاً عند مشاعر الآخرين وتوجهاتهم.

ومن جملة الخصال الأخرى للمؤمن أنه: «**إنّ زُكّي خاف مما يقولون، ويستغفر الله لما لا يعلمون**»، أي أنه يستغفر الله للعمل السيئ الذي ارتكبه لكن المزكّي ليس علم به، ومن خصاله أيضاً أنه «**لا يضره جهل من جهله**».

أوصيكم يا أعزائي، وخاصة الشباب، بتعلم هذه الخصال والتحلي بها، وتهذيب أنفسكم بهذه الإرشادات[1].

هوى النفس الخطر الأساس

ما هو إذاً الخطر الأساس؟ سأقرأ عليكم رواية في معرض الجواب عن هذا السؤال وهي: «**إنّ أخوف ما أخاف عليكم إثنان، إتباع الهوى وطول الأمل**». فلا تعجبوا من ذلك حيث أن هوى النفس لَمِن أشد الآفات خطراً علينا«**إنّ أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**». وها هنا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ أخوف ما أخاف عليكم إثنان، إتباع الهوى وطول الأمل، فأما إتباع الهوى فيضلكم عن سبيل الله**» فأشد وأكثر أنواع

(١) من خطبة له بتاريخ١٦ ربيع الثاني ١٤٢٠ هـ طهران.

الضلال مردها إلى هوى النفس. وبالطبع فإننا عادة ما نجد لأنفسنا آلاف التبريرات حتى ننحرف عن الصراط الإلهي، ويجيء قولنا وفعلنا على خلاف ما أوصى به الدين والشرع.

إنّ خطورة هوى النفس هو أن يضلكم عن سبيل الله، وأما طول الأمل فينسي الآخرة. وطول الأمل يعني الآمال البعيدة والشخصية، كأن تفكر في تشييد منزل لنفسك على أحداث طراز، أو أن تتسنم أعلى المناصب، أو أن تمد عينيك إلى ما متّع الله بعضاً من الناس، فتخلق لنفسك المصاعب والمشقات لكي تحصل على المبالغ المالية الطائلة أو أن تمارس ذلك النوع من النشاطات الإقتصادية. فطول الأمل هذا، أي تلك الآمال التي لا تقف عند حد، تأخذ بالسيطرة على فكر الإنسان، وتختلق له أهدافاً مزيفة، وتجعل من الآمال التافهة آمالاً عظيمة في نظره، وتكون نتيجة ذلك أنه «**ينسي الآخرة**»، حيث يظل دائماً في شغل شاغل من هذه الأهداف التافهة، فيموت قلبه، ولا يبقى عنده وقت أو رغبة في الدعاء أو الإنابة أو التضرع»[1].

الآثار المترتبة على التقوى

فمن جملة الآثار المترتبة على التقوى هي أن الله يبارك لنا في أعمالنا. ولو عرف الإنسان الآثار المترتبة على التقوى في القرآن الكريم، لأدرك أن جميع الأسئلة والهواجس التي تختلج في ذهنه قد وردت الإجابة عنها ﴿إِن تَتَّقُواْ اللّهَ

(١) من خطبة له بتاريخ٥ رمضان ١٤٢١هـ طهران.

يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانا﴾[1] أي إننا لن يشتبه علينا طريق الحق والباطل، وإنما سيتجلى الطريق أمامنا بكل وضوح. وحينما يميّز الإنسان الحق من الباطل يتحرك بشجاعة أكبر ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[2]، رازقكم هو الذي ييسر لكم عملكم ويوفر أمامكم ويوفر أمامكم الإمكانيات، وقد يجعل الله بركته أحياناً من المال القليل، وقد تُسلب البركة أحياناً من الأموال الكثيرة ومن الداخل الوفير، ولكن حينما يكون الإنسان تقياً ويعمل لله بإخلاص، يبارك له الله في عمله»[3].

الذخيرة المعنوية

إنّ طريق التدين هو طريق التوكل على الله والإعتماد عليه والثقة بوعوده: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾[4] أي أن الإيمان والتقوى يفتحان حتى السبل الطبيعية.. ويسهلاني شؤون الحياة»[5]

---

(١) الأنفال: ٢٩.

(٢) الطلاق: ١ ـ ٢.

(٣) من خطبة له بتاريخ١٢ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ طهران.

(٤) الأعراف: ٩٦.

(٥) المصدر السابق.

الشكر لله سبحانه أولاً

ليس من المتاح دائماً أن يكون الإنسان في خدمة الناس وخدمة الإسلام وخدمة الأهداف السامية، وأن يكون هذا الأمر ميسراً له. إنّ الزمان يتحول، وإن الظروف تتبدل، وليس بوسع الإنسان دائماً الحصول على ما يبغي من إمكانيات.

إنه لشرف عظيم للإنسان الملتزم أن يشعر بأنه في موقع يستطيع من خلاله أن يسعى ويجد ويتخذ خطوة في سبيل خدمة الناس والوطن والإسلام وتحقيق الأهداف الرفيعة التي لا يشك في عظمتها.

أيها الأعزاء! إنّ من المستحيل على المرء أن يخطو خطوة واحدة لولا العون الإلهي. وإن هذا العون الإلهي لا يأتي مصادفة أو اعتباطاً وبلا تقدير، ولكن يتأتى طبقاً لرجاء الإنسان وسعيه الدؤوب والإستعانة بالله جل جلاله على منحه العون والمساعدة.

إنّ نبينا الأعظم ﷺ ـ الذي هو أسوة وقدوة لكافة المؤمنين والمسلمين، والذي نحتفل هذه الأيام بذكرى ميلاده السعيد ـ كان يتضرع إلى الله تعالى ويستمد منه العون في الظروف الحالكة دون الإيحاء للمخاطبين والحضور أن بإمكانه عمل كل شيء بقدرته الذاتية والإتيان به من عنده، بل كان يقول بصراحة إنه لا يستطيع القيام بأي أمر دون عون الله تعالى ومساعدته؛ ففي غزوة الأحزاب، وعندما ضرب الأعداء الحصار على المدينة والرسول وجموع المؤمنين طمعاً في اجتثاث جذور الإسلام والقرآن والرسالة الجديدة، فإن النبي ﷺ كان يطيل السجود لله تعالى

على مشهد من العيان، فضلاً عن تجهيز واتخاذ التدابير الصارمة وحث المؤمنين على المقاومة. وقد تكرر منه هذا العمل كما ورد في كتب السيرة، كما كان الرسول ﷺ يرفع يديه للسماء ويتضرع إلى الله تعالى ويبكي قائلاً: اللهم أعنّا وانصرنا ووفقنا.

إننا لن نستطيع إنجاز أي عمل دون العون الإلهي الذي لا يتحقق هو الآخر ولا تنزل الرحمة الإلهية إلا بالتوجه إلى الله والتوسل به وتطهير القلوب وخلوص النيّة وتجاوز الأهداف الشخصية التافهة والوضيعة»[1].

اجعلوا الله نصب أعينكم

أيها الأخوة الأعزاء! إنّ بعض السلوكيات يمكن للمرء أن يتوب منها، كما أن بعضها يستعصي على التوبة لأن إصلاحها مستحيل. فالقرآن الكريم يردف في موارد متعددة ﴿إلا الذين تابوا﴾ بقوله تعالى ﴿وأصلحوا﴾، لأن التوبة تكون أحياناً مختصة بالتصرفات الفردية والسلوكيات الشخصية، فنتوجه إلى الله تعالى بالدعاء مقرّين بخطئنا، فيمحو الله سبحانه آثامنا. ولكن الأمر يختلف عندما يكون الفعل مؤثراً على النطاق الإجتماعي، فيأتي معه بواقع جديد أو يزيل واقعاً ما من المجتمع، وهنا لا تكون التوبة مقبولة إلا بإعادة إصلاح هذا العمل. فهل هذا مما يمكن إصلاحه دائماً! وهل يمكن دائماً إعادة المياه إلى مجاريها؟! ولهذا فلابد من الدقة التامة[2].

---

(١) من خطبة له بتاريخ١٥ ربيع الأول ١٤٢١هـ طهران.

(٢) المصدر السابق.

الصلاة أسمى مصاديق الذكر

إنّ الإنسان الذي يمثل ـ أحياناً ـ مظهراً لأسمى الحقائق الكونية وأبهاها من جهة، يمثل من جهة أخرى ـ أحياناً ـ بؤرة تتبلور فيها القبائح وما لا نظير له من الرذائل أيضاً. فلئن وجدناه في مكان أو زمان ما مظهراً للعمل والمحبة والتفاني أو التعقل والإبداع والتقدم في سلّم الرقي أو آية من آيات الشوق والحماس والأمل، فإننا نجده في مكان وزمان آخر أسير الغفلة والضغينة والأنانية، أو الجهل والخمول والجمود، أو الضعف والإحباط والتشاؤم.

هذا المخلوق المفعم بالمواهب بإمكانه أن يغدو أفضل ما لا تقل الأرض من موجودات، ويمكن أن يتسافل فيصبح أحقرها، فهو مزود بأدوات ومقومات السمو والتكامل المعنوي المادي، حيث جُبل مفتوحاً أمامه الخير وسبيل البِرّ والعقل والقدرة على اتخاذ القرار والإختيار جناحاه القويان، وأنبياء الله هم هداته يرفدونه بالأمل وهم أعوان له، لكنه في نفس الوقت ربما يستسلم لضعفه وهواه وأنانيته أو جهله وغفلته ومغالطاته ليحرم نفسه تلك البشائر والآمال والمعارج، وذاك ما يسعنا أن نسميه (تقبل الإنسان لفساد)، وهو ما كان ولا يزال يعدّ الطامة الكبرى والخطر الداهم الذي يهدد البشرية على امتداد حياتها، ويهدد كذلك حياة كل واحد من بني البشر.

ولغرض الوقاية وتوفير العلاج لهذه الآفة الكبرى، فقد ألهم الدين الإلهي (الذكر) للإنسان، والذكر يعني استذكار الحقيقة والشعور بالوقوف أمام الله سبحانه والإستماع والتسليم له، أي الإنعتاق من المشاغل التي تجعل الإنسان أسيراً

لوساوس الأهواء أو الجنوح لطلب العظمة والإنتقام إشباعاً لمطامعه، أي الإنتقال بالنفس من الجحيم التي أعدها بنفسه إلى جنة النقاء والأنس والبهجة والأمان.

والصلاة بتركيبها المتناسقة التي تجري في القلب وعلى اللسان ومن خلال الحركة هي النموذج والوسيلة الأكثر أصالة وكمالاً للذكر.

فالإنسان، وإثر ما قد يتعرض له من محن وشدائد ومصائب في حياته الفردية، وما قد يواجهه في حياته الإجتماعية من أحداث تغييرية من قبيل المسيرة العامة نحو الجهاد أو الإنفاق أو إعانة الفقراء، قد يزداد قرباً من الذكر، وربما ينأى عنه نتيجة انشغاله بالأهواء النفسية والإنغماس باللهو والترف وفسحة العيش، والصلاة هي العنصر الذي يقوى على الإقتراب به أكثر فأكثر من جنة (الذكر) في جميع الحالات.

الصلاة هي التي تمنح الإنسان العروج والتوجه والحضور حينما يعيش حالات الإستعداد الروحي، وهي التي تقرع عند مسمعه ناقوس الخطر حينما يمر بحالة الغفلة وفقدان الإستعداد، وتقرب به من ذلك الوادي النوراني.

لذلك يجب أن لا تترك الصلاة في كافة الأحوال لأنها الجرعة التي تهب القوة والشفاء في الشدة والمحنة، وفي عرصات الجهاد، وحين الفراغ والدعة، بل وحتى في الوسط الملوث بالأوحال الذي يحيط الإنسان نفسه به من خلال أهوائه وأحقاده وشهواته وأنانيته؛ فيجب أن نرتشفها بكل كياننا وأية محطة منها بلغنا نكون قد اقتربنا خطوة أو مشواراً من جنة الرضوان. ولهذا، لم يأت النداء يقول:

(حي على الجهاد) ولا (حي على الصوم) ولا (حي على الإنفاق)، بل يأتي النداء مكرراً في كل يوم (حي على الصلاة)»[1].

بعثة الأنبياء

لقد بُعث النبي ليعلم الناس ويزكيهم ﴿يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾ وورد في مواضع أخرى ﴿يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾، فلابد من تعليم الناس وتزكيتهم أيضاً كي يتسنى لهذا المجتمع البشري الكبير الذي يقطن هذه المعمورة أن يطوي طريق الكمال كأسرة متوحدة سليمة، ويتنعم بما في هذا العالم من خيرات؛ وهذا هو الهدف من بعث الأنبياء. فكل من بُعث منهم عليهم السلام أنجز هذه المهمة العظمى في التربية والتعليم بما كانت تسمح به الإمكانيات المتوفرة في زمانهم، وكان على الدين الخاتم والنبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم أن يضفي على هذا التحرك الإلهي العملاق طابع الأبدية»[2].

مراتب المراقبة

أوصي جميع الأخوة والأخوات المصلين ونفسي بتقوى الله والتزام الورع، فالزاد الذي نتزود به من حضورنا في صلاة الجمعة يجب أن يكون بالدرجة الأولى الإقتراب من حلية التقوى، التي هي عبارة عن المراقبة المستمرة للنفس في القول والفعل، بل وحتى المراودات الذهنية لئلا نقارب ما يسخط الرب، سواء بأقوالنا أو أفعالنا أو حتى على المستوى الفكري أيضاً»[3].

---

(١) من خطبة له بتاريخ١٧ جمادى الثانية ١٤٢٢هـ اصفهان.

(٢) من خطبة له بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١٤٢١هـ طهران.

(٣) من خطبة له بتاريخ ٢٠ ذي الحجة ١٤٢١هـ طهران.

شهر رمضان

أعزائي! إنّ شهر رمضان على الأبواب، وبعد أيام قلائل سيجلس المؤمنون ـ من لهم الجدارة لذلك ـ على مائدة الضيافة الإلهية، والصيام بحد ذاته والتوجه إلى الله تعالى والأذكار والأدعية التي غالباً ما تستهوي الأفئدة وتجتذبها في هذا الشهر جزء من الضيافة الإلهية، فاغتنموا هذه المائدة بأقصى مداها وأعدوا أنفسكم. فشهرا رجب وشعبان شهراً تأهب قلب الإنسان لدخول شهر رمضان، ولم يبق من شهر شعبان إلا أيام معدودات، فيا أعزائي! ويا أبنائي! أيها الشباب الأعزاء! اغتنموا هذه الأيام القلائل. سلوا الله تعالى، ويمموا قلوبكم النقية نحوه وكلموه. وليس من لغة خاصة للحديث مع الله جل وعلا، غير أن أئمتنا المعصومين الذين ارتقوا مراتب القرب إلى الله واحدة تلو الأخرى قد كلّموا الله بألسنة متميزة وعلّمونا سبيل التكلم معه الله سبحانه، وهذه المناجاة الشعبانية والأدعية الواردة في شهري رجب وشعبان بمضامينها الراقية، وهذه المعارف الرقيقة والنورانية والتعبير الرائعة الإعجازية، هذه كلها وسيلة لنا لغرض الدعاء. وإنني أدعوكم جميعاً أيها الأعزاء إلى التوجه خلال هذه الأيام نحو الدعاء والصلاة، والإقبال على الصيام، واغتنام أيام شهر رمضان ولياليه»[1].

(١) من خطبة له بتاريخ ٢٥ شعبان ١٤٢٢هـ كاشان.

شهر رجب والإرتباط بالله

إنها أيام وليال ثمينة للغاية. فأيام شهر الله، شهر رجب، تعدّ فرصة ثمينة للقلوب المؤمنة كي توطدً ارتباطها بالله سبحانه، والإنسان بحاجة لهذا الإرتباط المعنوي والروحي، والقلب الغافل هو الذي يقع عرضة لغارات الشيطان، وإنما يعمّ الشر والفساد الدنيا متى ما استحوذ الشيطان على قلب الإنسان وروحه. والإرتباط بالله وتحصين الفؤاد والروح من تسلل الشيطان وغلبته هو سبيل العلاج الناجع والحقيقي لردع كل فساد وشر في العالم، ولو لم يتسلط الشيطان على قلوب من لهم عظيم التأثير على المجتمعات البشرية لتنعمت الدنيا بالطمأنينة ورفلت البشرية بالأمن والسلامة، فكل مصائب البشرية إنما تنجم عن الإبتعاد عن الله»[1].

الحج علاج لتهديدات البشرية

إنّ الأفراد والجماعات البشرية يتعرضون للكوارث من جانبين: الأول، من داخل أنفسهم. ومنشأ ذلك الضعف البشري والأهواء الجامحة والشكوك وقلة الإيمان والخصال المخرّبة. الثاني، من الأعداء الخارجيين. فهم النكد لحياة الأفراد والشعوب بسبب طغيانهم وأطماعهم وعدوانهم ووحشيتهم، وهم البلاء الداهي نتيجة حروبهم وظلمهم وتجبرهم وتعنتهم.

إنّ الحج هو ذلك النبع الذي لا يتوقف تدفقه والهداية التي لا ينضب معينها وبه يستطيع المسلمون أن يتخلصوا إلى الأبد من نكد العيش ومرارته ومن مرض الإنحراف... وبمساعدة هذا الذخر الأبدي يقدرون أن يحصنوا أنفسهم في كل زمان من هاتين الكارثتين.

---

(١) من خطبة له بتاريخ٨ رجب ١٤٢٢هـ طهران.

فالحج وما فيه من عناصر التقوى والذكر وحضور القلب والخشوع والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى لكفيل بمواجهة التهديد الأول، وما فيه من عناصر التجمع والتوحد والإحساس بعظمة الأمة الإسلامية الكبرى وقدرتها على ساحة الحج لكفيل بمقابلة التهديد الثاني.

وفي نصوص الشريعة الإسلامية المقدسة، وفي نص القرآن الكريم، تصريح بكلا الجانبين، بحيث لا يبقى مجال للشك لكل ذي عين وقلب وإنصاف. فما فرضه الله سبحانه في قوله: ﴿فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[1] جاء إلى جانبه فريضة أخرى حيث يقول سبحانه: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[2].

وانسجاماً مع قول الحكيم جلّت قدرته: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾[3] نزل قول اللطيف الخبير: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾[4].

---

(١) البقرة: ٢٠٠.

(٢) التوبة: ٣.

(٣) الحج: ٣٧.

(٤) نداء الحج الإبراهيمي بتاريخ ٤ ذي الحجة ١٤١٦هـ.

دور الأخلاق في كافة الشؤون

إننا ولو بلغنا ذروة الرفاه الاقتصادي وكسبنا أضعاف ما نحن عليه من اقتدار ومجد سياسي، لكن أخلاق الناس لم تكن أخلاقاً إسلامية، ولم تكن تتحلى بالصبر والحلم والتفاؤل وحسن الظن، فسينهار العمل من أساسه، فأساس الأمور الأخلاق. وغاية الحكومة أن يتربى الناس في هذه الأجواء لتتسامى أخلاقهم وليكونوا أكثر قرباً من الله، ولتبنى نواياهم على القربة لله تعالى. ولكن متى تعقد النية على القربة؟

حينما يدرس الإنسان الأمور ويبحث فيها، يجب عليه أن ينظر هل في ذلك لله رضىً؟ فإذا رأى في ذلك لله رضى يمكنه عقد نيته على التقرب إلى الله تعالى. لاحظوا وضوح المنهج، وكيف أن البعض لا يلتفت إليه![1].

الإيمان الواعي سر الإنتصار

ما هو الشيء الذي يوصل الشاب المقاتل في سبيل الله، أو أي إنسان آخر في أي ميدان من ميادين الحياة إلى هذه الدرجة من البصيرة؟! إنه الإيمان الواعي. ما أود قوله هو أنه حتى القيادة والفنون العسكرية مستقاة من قوة الإيمان. الإيمان والحب المعنوي هما اللذان ولّدا لديهم هذه الكفاءة[2].

---

(١) من خطبة له بتاريخ٢٤ذي الحجة ١٤١٨هـ طهران.

(٢) من خطبة له بتاريخ٨ صفر ١٤٢٠ هـ طهران.

الهدف إعلاء كلمة الله

إنّ ما يسهل علينا مشقة الأعمال أن غايتنا هي إعلاء كلمة الله، وهذه هي الغاية المنشودة من وراء بعثة الأنبياء وجهادهم على مرّ التاريخ.

واليوم جاء دورنا، وها هي ساحة الجهاد مفتوحة أمامنا. يجب علينا جميعاً أن نكد ونكدح ونتحمل الشدائد ونواجه المصاعب لنتمكن من أن نقدم لشعوب العالم مثالاً صحيحاً عن حياة شعب وإرادة وطن. هدفنا هو إيصال شعبنا إلى السعادة التي أرادها له الإسلام.

أؤكد على الأخوة والأخوات أن يؤدوا أعمالهم عن إخلاص ويجعلوها قربة لله. عليكم أيها الأخوة والأخوات أن تكون نيتكم هي نيل رضا الله تعالى في كل أعمالكم ونشاطاتكم، ومثل هذه النية وهذه القلوب فيها الهداية لنا؛ لأننا إذا ما عقدنا العزم عليها فلن نقع في بعض الأخطاء التي ترافق عملنا والتي نكون نحن سببها[1].

اليأس مرفوض في الإسلام

اليأس من الأمور المرفوضة في الإسلام، بل إن بعض أقسامه من الذنوب الكبيرة، كاليأس من روح الله،أي من لطفه وفضله وعنايته الخاصة، التي إذا يئس الإنسان منها فإنه يكون قد ارتكب معصية كبيرة.

---

(١) من خطبة له بتاريخ٢ جمادى الأولى ١٤١٩هـ طهران.

لا يحق لنا اليأس، فإن اليأس من رحمة الله من الذنوب الكبيرة. لا يحق لأحد أن ييأس من رحمة الله حتى وإن شاهد حجباً كثيرة يمكن ـ من وجهة نظره ـ أن تمنع تلك الرحمة..

ليس لدينا في الإسلام فكرة (انتهى دوري). اليوم الذي انتقل فيه إمامنا العزيز إلى جوار رحمة ربه كان آنذاك شيخاً يقارب عمره التسعين عاماً. لقد كان يعمل بجد حتى آخر لحظات عمره. لم يكن يقول: أنا أديت تكليفي وواكبت الثورة حتى انتصرت، فيجب على الآخرين أن يكملوا المسيرة ويتحملوا بقية المصاعب! بل على العكس، كان لذلك الرجل الجليل حصة الأسد من الآلام والمتاعب الجسيمة.

لقد كان يحمل على عاتقه أكبر الأعمال، ويتولى أحرج القرارات كقرار الحرب ومصيرها، والعديد من القضايا الحساسة[1].

الإستكبار

لاشك أن لكلمة الإستكبار معنى واسعاً. في القرآن الكريم وردت مشتقات كلمة الإستكبار، واستعمل القرآن نفسه كلمة الإستكبار في عدة مواضع، ويبدو أن الإستكبار هو غير التكبر، وربما أمكن القول بأن التكبر أكثر ما يشير إلى صفة قلبية ونفسية، أي اعتبار الإنسان نفسه أفضل من الآخرين، أما كلمة الإستكبار فهي أكثر ما تعني بالجانب العملي للتكبر، أي أن من يتكبر ويرى نفسه أفضل من الآخرين،

(١) من خطبة له بتاريخ١٧ صفر ١٤١٣هـ.

يظهر سلوكه مع الآخرين بشكل يجعل هذا التكبر واضحاً وجلياً في العمل، فيحتقر الآخرين ويهينهم ويتدخل في عملهم ويبرز نفسه أمامهم وكأنه هو الذي يتخذ القرارات.

وهذا هو معنى الإستكبار الذي جاء في الآية الشريفة التي تتحدث عن المستكبرين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً * اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾[1] أي أنهم استكبروا أمام النبي ﷺ وكلام الحق. لم يقولوا نحن أفضل، بل أظهروا هذه الأرجحية والأحقية ـ التي اعتقدوها أو اعتبروها لأنفسهم ـ في إطار العمل وفي هذا الصراع الطويل وغير المتناهي لجبهة الكفر والعناد والطغيان ضد رسالة الحق والمعنويات والنور والهداية؛ هذا هو معنى الإستكبار[2].

لا تغفلوا عن التهذيب والتزكية الروحية والقلبية

أيها الشباب الأعزاء! عليكم أن لا تغفلوا عن التهذيب والتزكية الروحية والقلبية. فكل ويلات الشعوب ومصائب المسؤولين، كباراً وصغاراً، نابعة عن الأنانية وحب الذات وتضخيمها، وغرس نزعة التفرعن فيها. فقد لا تلاحظ على ظاهر الإنسان أي مؤشرات دالة على النزعة الفرعونية، إلا أن هذه النزعة تكون مغروسة في ذاته. فالأنانية وحب الذات وتضخم ميولهم وأهوائها وشهواتها

---

(١) فاطر: ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) من خطبة له بتاريخ١٧جمادى الثانية ١٤١٧هـ.

ومصالحها هي مصدر معظم مفاسد الحياة. ولهذا يجب عليكم السير في اتجاه تهذيب النفس[1].

كل الخيرات مترتبة على التقوى

من البديهي أن لكل حقيقة أعداء. وأؤكد لكم أن من يطمع في قطع شوط الحياة على طريق معبد خالٍ من المطبات، ولا يجابه خلاله أي عائق أو عارض فهو في الحقيقة إنسان ساذجٍ، وسيسقط ذات يوم على رأسه ويتحطم.

أما المهم بالنسبة للإنسان فهو اليقظة والفطنة وعدم إضاعة الهدف وعدم الإنحراف عن السبيل، والعزم الراسخ على بلوغ الآمال المنشودة. وهذه الخصال هي التي تسمى في العرف الإسلامي وفي الثقافة القرآنية باسم (التقوى). ولو تدبر المرء القرآن لرأى أن كل الخيرات مترتبة على التقوى، سواءً الخيرات الأخروية والمعنوية والروحية، أم الخيرات المادية والإجتماعية: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ﴾[2]. والتقوى ينجم عنها استشعار حلاوة الحياة، ونيل العزة، ويأس العدو. وهذه هي حالة المراقبة التي يتحدثون عنها»[3].

---

(١) من خطبة له بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ مشهد.

(٢) الأعراف: ٩٦.

(٣) من خطبة له بتاريخ٢٧ ذي الحجة ١٤١٩هـ طهران.

شهداء البحر

إنّ شهداء البحر في رواياتنا لهم أجر مضاعف. ولعل السبب في ذلك هو أن كل شهيد يخاطر بروحه ويعرض نفسه للهلاك ابتغاء وجه الله. فليست أهمية الشهادة في التضحية بالنفس، بل إن أهميتها تنبع من أن الشهيد يعرض نفسه للخطر، أي أن فعله هو الذي تترتب عليه قيمة الشهادة. فكلما كانت الساحة التي يقدم فيها الشهيد على الموت أشد خوفاً وأكثر خطراً كلما تسامت منزلة الشهيد وارتفع قدر الشهادة.

ولنفرض مثلاً أن مقاتلاً يتحصن في أحد الخنادق فتأتيه رصاصة فيموت شهيداً فهو شهيد بالتأكيد وبلا شك. ولكنه أحياناً يدخل مرحلة أشد خطراً كالقتال في البحر، فتكون الشهادة حينئذٍ أجلّ قدراً ومنزلة. لماذا؟ لأنه ابتاع خطر البحر بنفسه. وإن مشاهدة هيبة البحر العظيمة والذهاب للقاء الله، ولاسيما في تلك الليالي الموحشة، وأحياناً في شدة البرد أو شدة الحر، مع تكالب قوات العدو، كلها من الأمور التي ترتفع بمنزلته وتضاعف أجره»[1].

بناء الذات أعظم درس في شهر رمضان

لعل من أفضل النعم الإلهية أن يوفقنا الله جميعاً للمحافظة على أسباب الرحمة الإلهية في أنفسنا حتى شهر رمضان القادام. والرحمة الإلهية التي تتنزل في شهر رمضان المبارك إنما منشؤها الأعمال الحسنة التي حالفكم التوفيق لأدائها في هذا الشهر المبارك. ففي شهر رمضان يكون التوجه نحو الله سبحانه والإحسان للفقراء

(١)من خطبة له بتاريخ٢٤ ذي القعدة ١٤٢٠هـ

وصلة الرحم ومداراة الضعفاء والطهارة والورع، وفيه استرضاء من نأيتم عنهم والنصف لمن عاديتم. إنه شهر الرأفة والتوجه إلى الله، إذ ترقّ فيه القلوب وتستنير النفوس بنور الله وفضله ورحمته، ويبلغ الإنسان التوفيق لأداء الأعمال الحسنة، فواظبوا على ذلك حتى العام المقبل، ولنستلهم الدرس من شهر رمضان لمدة سنة كاملة، وهذا هو الجزاء الإلهي الأكبر، حيث يمن علينا بمثل هذا التوفيق، فلنطلب من الله الرضا والرحمة والقبول والعفو والعافية، فإن ذلك هو العيد الحقيقي.

ما أود قوله.. هو أن أعظم درس في شهر رمضان هو بناء الذات، والخطوة الأولى والمهمة في طريق بناء الذات هي أن ينظر المرء إلى نفسه وأخلاقه وسلوكه نظرة انتقاد فيرى عيوبه بدقة ووضوح، ثم يسعى للخلاص منها؛ وهذا أمر يمكننا إنجازه، فهو تكليف ملقى على عواتقنا.

تراحموا فيما بينكم كي يرحمكم الله، وعلى من كانت أيديهم مبسوطة أن لا يمدوها عدواناً على مصالح وثروات الآخرين، ولا يستغلنّ من توفرت لديهم الفطنة والذكاء والإمكانيات والقوة والمسؤولية وشتى القدرات.. للعدوان على من سواهم. لنجعل من أنفسنا عبيداً لله مكلفين بمداراة عباد الله والإحسان إليهم، والبرّ بهم والتزام الإنصاف إزاءهم، وحينها سيغمرنا الباري بوابل رحمته وفضله فيطهرنا، وتنهمر علينا مواهبه، وهذا ـ بطبيعة الحال ـ تكليفنا جميعاً، بيد أن مسؤولية أصحاب القدرة والمنصب والثروة وذوي الكلمة النافذة بين الناس تفوق من سواهم في قبال هذا العبء الثقيل، عبء بناء النفس وكبح جماح الشهوات عن التعدي على الآخرين[1].

(١) من خطبة له بتاريخ ١ شوال ١٤٢٢هـ طهران.

معرفة حدود القانون والإلتزام بها من أعظم المسؤوليات

من أعظم مسؤوليات الإنسان حيثما وجد، معرفة حدوده القانونية وعدم تجاوزها. وتجاوز الحدود ما هو إلا عبارة عن الإستبداد والإستكبار بما ينطويان عليه من مفهوم قبيح ومشين. وأعظم خطر يحيق بالإنسان هو أن يستحوذ عليه الإستبداد والإستكبار، وهذا وبال ربما يصاب به الجميع أيضاً، فعلى الجميع التزام الحذر. ومن تميزوا بالحظوة على الصعيد الإجتماعي هم الأكثر عرضة لهذا الوبال، والذي تمكنت منه الروح الإستكبارية يتضاعف خطره سواء على نفسه أو بالنسبة لغيره من الناس في حالة توفره على المزيد من السلطة والثراء والمنصب الرفيع، فعلى مثل هذا الشخص أن يراقب نفسه كثيراً.[1]

عيد الفطر منطلق للوحدة والعودة إلى الذات

إنّ عيد الفطر من أعظم المناسبات الإسلامية، فالمسلمون يتخذون منه عيداً حقيقياً يحتفلون به، وذاك ما أراد الإسلام للأمة الإسلامية «جعله الله لكم عيداً وجعلكم له اهلاً». والمهم هو البعد الثاني من القضية، إذ علينا استثمار هذه الهدية الإلهية وذلك على الصعيد الشخصي بما يعني ذلك من فتح الطريق لنور المعرفة والتوبة والإنابة ليلج إلى قلوبنا، فلو فتحت نافذة من عالم المعرفة والحب الإلهي إلى قلوبنا وأنرنا سرائرنا، حينها ستجد الكثير من الظلمات والويلات في العالم الخارجي طريقها إلى العلاج لأن أفئدة البشر هي مصدر الصالحات والسيئات.[2]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

صيانة القرآن من فعل الله وتدبيره

قال الله تعالى في كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. فمهمة صيانة القرآن والمعارف الإلهية والآيات التي نزلت على قلب النبي ﷺ ليست بذلك الأمر الذي تقوى الأوهام والمكائد البشرية على إنجازه، فهي من فعل الله وتدبيره، وهو المتكفل بنشر القرآن، لكن ذلك منوط ـ شأنه كسائر النعم الإلهية ـ بأن يسعى الناس بكل ما أوتوا من قوة وقابلية لنيل هذه النعمة.[1]

معرفة ألفاظ القرآن وظواهره

اعلموا أيها الشباب والأشبال الذين تتعلمون القرآن أنكم تدخرون ثروة لا تنفذ مدى الحياة، تعينكم على التفكير والتأمل، وذلك أمر في غاية الأهمية، إذ ربما يتعسر اكتشاف المعاني والمعارف القرآنية من بطون آيات القرآن الكريم في سني الشباب ويتعذر سوى الفهم السطحي الضئيل، لكن مع ازدياد معلوماتكم وتقدمكم العلمي يُطرد انتفاعكم من الآيات القرآنية التي تتركز في حافظتكم وذاكرتكم.

فاستقرار القرآن في ذهن الإنسان نعمة عظيمة جداً.. إنها لنعمة عظمى الأنس بالقرآن خلال سنيّ الفتوة والطفولة وأخيراً مرحلة الشباب، وهي بطبيعة الحال بمثابة المقدمة. فمعرفة ألفاظ القرآن الكريم وظواهره تمثل الخطوة الأولى لكنها ضرورية أيضاً.. كي يتسنى للمرء إدراك المعارف الدينية وسبر أغوارها، إن كان يصبو لذلك.

---

(١) من خطبة له بتاريخ ١ رجب ١٤٢٢هـ طهران.

إذاً هذه هي الخطوة الأولى التي هي بمثابة مقدمة ضرورية، ثم تتبعها مرحلة التفكير والتوفر على المزيد من المعلومات والإنتفاع منها لفهم المعارف الكامنة في القرآن الكريم والسنّة النبوية. فكلما ازداد المرء غزارة في معلوماته ازداد بصيرة في فهمه للقرآن والسنّة. وهذا ما تفعله التجارب أيضاً، فكلما تضاعفت خبرة المرء في حياته، وتميز بوعيه لمختلف الحوادث التي تشهدها الدنيا تنامت معرفته بالقرآن، وتجلّت أمامه المطالب القرآنية أكثر فأكثر[1].

معنى المعصية وأثرها

المعاصي التي يبتلى بها الإنسان على مر الحياة، والمشاغل التي تلقي بقيودها على روح الإنسان وتمنعها من التحرك والعروج والتكامل، إما أنها غير موجودة عند الشباب خاصة أو أنها قليلة جداً.

فالشاب هو مهبط اللطف الإلهي، وقلبه ـ في كثير من الموارد ـ مظهر تجلي العنايات الربانية الخاصة، فعلى الشباب أن يقدّروا ذلك.

إنّ صفاء الروح ـ الذي بإمكان الإنسان أن يكتسبه وأن يتجاوز به كدورات المادية ومشاكلها والعادات السيئة والخبائث، وأن ينزه نفسه به ـ هو عند الشبان أكثر من غيرهم. ولهذا، فقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «عليكم بالأحداث» أي عليكم بالإعتماد على الأحداث (أي الشباب) في جميع الأمور.

أيها الشباب الأعزاء! اعرفوا قدر أنفسكم لأن الدنيا قد خلقت لأجل السعي والعمل والبناء والجهاد والإعمار على يد الإنسان، وجميع النشاطات سواء

---

(١) المصدر السابق.

الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، وكذا العسكرية والجهادية ـ عند الضرورة ـ والنشاطات العلمية والتحقيقية لازمة للإنسان، ولاشك أن على كل إنسان القيام بدوره في هذه المجالات حسب قدرته، والفرصة المتاحة له. لكن الأعمق من كل ذلك هو هذه النكتة المعنوية والإلهية، وهي أن كل مسؤولية تتحملونها ـ سواء كانت نشاطاً سياسياً أم عملياً، وسواء كانت دراسة أم تدريساً أم تحقيقاً أم بحثاً، وسواء كانت بناءاً لأركان المجتمع أم هدماً لأركان الفساد والضلال ـ فهي لا تخرج عن حالتين: إما أن هذا العمل الذي تقومون به يعينكم على السلوك المعنوي الذي خلق الإنسان لأجله أو أنه يصدكم عن ذلك؛ ولا ثالث له.

لقد كان هدف جميع الأديان الإلهية وجود جميع الأنبياء وشهادة كبار رجال الحق كلها لأجل إيصال البشر إلى الطريق الأول، أي القيام بعمل يضع البشرية على الصراط المستقيم، كي تتحرك نحو العروج المعنوي والكمال الإنساني ومعرفة الله وتأمين مستقبلها الذي هو الهدف الرئيسي للحياة، أي مرحلة ما بعد الموت؛«فالدنيا مزرعة الآخرة».

إننا هنا نعدّ مقدمات الحياة الأبدية، وكل ما نقوم به من دراسة وتدريس وجهاد ورياضة وبناء وعمران للدنيا ومقارعة للأعداء،وسائر الأعمال التي يقوم بها الإنسان ـ وهي أمور ضرورية ـ يجب أن تتصف بروحية السير على الصراط المستقيم، وكل ما يصدكم عن هذا الطريق فهو معصية. فالمعصية ـ في الإصطلاح الديني وفي أقوال الأنبياء ـ هي العوائق والموانع في طريق الكمال الإنساني. وليس معناه أن الله ـ والعياذ بالله ـ أراد حرمان عباده من السعادة ومن اللذائذ، كلا! بل اللذة التي تمنع الإنسان من السير نحو الله هي كالطعام اللذيذ الضار يتناوله الإنسان،

فيقرّبه من الموت. والعاقل لا يتناول هذا الطعام، وينبذ هذه اللذة لله، لهذا، قد تم التأكيد على الإستغفار في القرآن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾[1].

يجب على المرء مراقبة ذاته

اعلموا يا أعزائي أن أياً منا غير مصون ولا منزه عن الوقوع في المفاسد، وحتى المؤمنين والصالحين.

تشير الرواية الشريفة إلى أنه: «والمخلصون في خطر عظيم» فإذا كان المخلصون في خطر، فما بالك بنا؟! ولهذا يجب علينا الإكثار من مراقبة أنفسنا. فالفساد قد يبدأ من نقطة صغيرة ثم يستفحل ولا يشعر به الإنسان إلا إذا هلك أو أوشك على الهلاك. وعندها يصبح من الصعب عليه اتخاذ القرار القاطع، لأن الإنسان يصعب عليه اتخاذ القرار من بعد أن يفهم أن المرض سرى واستفحل في أوصاله. إذاً، يجب على المرء مراقبة ذاته، وهذه هي المراقبة التي أكدتها الأديان كلها، وركّز عليها القرآن ونهج البلاغة، وهي التقوى التي ظل أمير المؤمنين عليه السلام يوصي بها طوال فترة حكمه.. والمراقبة الدائمة لأنفسكم بمثابة سور يحيط بكم، فإياكم وأن يكسر هذا السور[2].

---

(١) من خطبة له بتاريخ٧ جمادى الثانية ١٤١٦هـ

(٢) من خطبة له بتاريخ ١٥ صفر ١٤٢٠هـ طهران.

الملاك هو رضى الله وأداء التكليف

يجب الإستعبار في كل جوانب الحياة بانقضاء الأيام. فكل شيء ينقضي، وهذه المناصب الظاهرية والعناوين كلها آيلة إلى الزوال. وكما تلاحظون فإن الإنسان الذي يتصدى لمسؤولية معينة يستقبلها في يوم ويغادرها في يوم آخر، والأشخاص من أمثالكم ممن اجتازوا مرحلة الشباب يعلمون جيداً كيف أن الشباب والحياة يمضيان سريعاً.

وستمضي المدة المتبقية من العمر سريعاً على هذا المنوال.

أما المهم هنا فهو ما تستطيعون أن تقدموه بين أيديكم كحصيلة لعملكم حين انتهاء أجله أثناء محاسبة النفس، وفيما بينكم وبين الله. وعلى هذا الأساس، فإن الملاك هو نيل رضى الله، ولا تعتبروا أي شيء آخر ملاكاً لعملكم.

عليكم أن تنظروا إلى تكليفكم الشرعي فإن لكم أجركم عند ربكم. من الطبيعي أن الإنسان مطالب بالسعي والفطنة لفهم الموضوع والحكم الشرعي، إلا أنكم إذا عملتم من أجل أداء التكليف ووقعتم في خطأ فأجركم عند ربكم. فهل في هذا ما يسيء؟ وهل هذه معاملة خاسرة مع الله»؟! «من كان لله كان الله له»، أي إن كل من يعمل في سبيل الله، يسخّر له الله كل قدراته العظيمة الهائلة، فهو القائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. حينما يعمل المرء في سبيل الله، لا يتركه الله يتخبط في الضلال، بل يهديه إلى سواء السبيل[1].

---

(١) المصدر السابق.

الجهاد الأكبر

إنّ الجهاد في ميادين الحرب شوقاً للإيثار والتضحية، ما هو في الواقع إلا أحد سبل الجهاد. فرسول الله ﷺ الذي كان معلم الأولين والآخرين، وكانت الملائكة تستقي علمها من علمه، وكان قلبه أسمى موضع للوحي الإلهي، قال لشباب عصره بعد عودتهم من الحرب: «**مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر**».

فأنتم (أيها المجاهدون) قد قضيتم الجهاد الأصغر، وأمامكم الآن ميادين الجهاد الأكبر، وهو جهاد النفس، وهو جهاد في ميادين قاتمة معتمة، إذ من المعروف أن ميدان الحرب واضح لا لُبس فيه: فالعدو في ذلك الجانب والصديق في هذا الجانب، والمعدات التي تحت تصرف العدو معروفة، وخطته قابلة للحدس.

إذاً، فالحرب ضد العدو هي أسهل الحروب. ولا يقولن قائل إن الأرواح هناك في خطر، فالخطر يهدد الروح في كل أنواع الجهاد. ثم إن الروح ليست دائماً أثمن شيء يقدمه الإنسان، فهنالك أناس يتمنون الموت مائة مرة في اليوم، وهناك بذل أسمى من بذل النفس، وهنالك عناء يفوق عناء نزع الروح. هكذا أكد لهم الرسول أن الدور قد حان للجهاد الأكبر، وقد كان الجهاد الأكبر في عهد الرسول بالغ المشقة[1].

(١) من خطبة له بتاريخ ٢٧ جمادى الثانية ١٤١٩هـ طهران.

لا عزة بدون الجهاد

اعلموا يا أعزائي أن البعض يفزعه ذكر اسم الجهاد متصوراً أنه لا يتماشى مع نشوء الدولة، ومع إرساء الحضارة في الحياة، ويتعارض مع التقدم المادي والمعنوي، ومع الرفاه المشروع لبني الإنسان. ولكن هذا خطأ فظيع، فبدون الجهاد لا ينال الإنسان شيئاً، لا في دنياه ولا في آخرته، وبدونه لا يمكن مقاومة حتى ذئب في الصحراء مقطوع اليدين والرجلين، فما بالك بالذئاب الكاسرة في عالم السياسة والإقتصاد والبراثن الملطخة بدماء الملايين من الناس، ممن افترستهم تلك الذئاب؟!. وهل يمكن لشعب ما أن يرفع رأسه بدون الجهاد؟ وهل يمكن لشعب ما أن يذوق طعم العزة بدون الجهاد؟! وهل يمكن لشعب ما أن يتخذ له مكانة وشأناً بين شعوب العالم بدون الجهاد؟ أجل!.. «إنّ الجهاد باب من أبواب الجنة» معناه نيل جنة الخلد في الآخرة، والراحة في الدنيا[1].

التذكر والإيمان بالغيب

لقد كانت بعثة النبي الأكرم ﷺ حركة عملية لإيصال البشرية إلى الكمال الفردي والروحي والمعنوي من جهة، ورقي الحياة الإجتماعية وإصلاح المجتمعات من جهة أخرى. فما وهبه الباري تعالى في بعثة النبي ﷺ للناس لم تكن بعض المفاهيم الجامدة أو طريقاً عابراً لا يمسك أحد بزمام أمور الناس فيه... فقوله ﴿يعلمهم الكتاب والحكمة﴾ فرع لذروة العلم والحكمة في الوجود المقدس للنبي الأكرم ﷺ وقوله ﴿يزكيهم﴾ فرع لبلوغ التزكية ذروتها في ذلك الوجود المطهر، وبهذه الطاقة يمكن للنبي ﷺ إرشاد العالم نحو التزكية..

---

(١) المصدر السابق.

لقد كان لهذه الحادثة منذ وقوعها هدفان واضحان، الأول: هو إيجاد حالة باطنية وروحانية ونفسانية في توجيه باطن الإنسان نحو الله، أي الإيمان والتوجه نحو رب العالمين، أو بتعبير الكثير من الآيات القرآنية (الذكر). فما يهبه الباري تعالى للناس عن طريق البعثة هو الذكر والتذكر، ولا يتحقق أي من أهداف بعثة الأنبياء ما دام هذا الأمر غير متحقق: ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾. فمن توجد في نفسه حالة الذكر هذه ويتبعها فهو مهيّأ للإنذار والإصلاح والإرشاد والتكامل والجهاد في سبيل الأهداف الإجتماعية. ولو غفلت البشرية عن المعنويات أصبحت جميع أبواب الصلاح والإصلاح مغلقة بوجهها، كما هو حال العالم المادي اليوم.

إنّ مفتاح جميع الإصلاحات والسعادات في العالم المادي اليوم هو توجه الناس إلى أنفسهم، والتذكر والبحث عن هدف الخلق وعما هو وراء هذه المظاهر المادية للحياة، أي الأكل والنوم والشهوات والسلطة وحب المال وأمثالها. فجذور الفساد هي عدم التوجه إلى الباطن الحقيقي العام، وهذا هو سر ومعنى وجوهر الحياة، أي التوجه إلى المبدأ والى التكليف، والإصغاء إلى أوامر حاكم قادر له سلطة غيبية؛ وبتعبير القرآن، الإيمان بالغيب: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾، غير غارق في المظاهر المادية للحياة. فالحياة ليست الأكل والنوم والشهوات والميول الحيوانية والسلطة والرئاسة وأمثالها.

وتعد هذه أول هدية لبعثة الأنبياء إلى الناس، وأول هدف للنبي ﷺ: التذكر والإيمان بالغيب[1].

(١) من خطبة له بتاريخ ٢٧ رجب ١٤١٦هـ طهران.

عيد الفطر والجهاد الأكبر

عيد الفطر هو اليوم الذي يستطيع فيه الإنسان أن ينتهج صراط الله المستقيم ويعرض عن الطرق الأخرى التي تؤدي إلى الضلال، وذلك بالإستعانة بما حققه من المكاسب في شهر رمضان.

لقد انصبت همة الأنبياء والأولياء والصالحين والصديقين وتضافرت جهودهم في سبيل أن يعرف الإنسان حقيقة نفسه الأمارة بالسوء، فيتقي شرها. وهذا السر الكبير في وصول الإنسان إلى المراتب المعنوية والإلهية السامية، ووصوله إلى درجات القرب الرفيعة.

إنّ الذين اجتازوا هذا الشهر المبارك بنجاح واستفادوا من الضيافة الإلهية ومن المائدة الربانية المبسوطة، لاشك في أنهم حصلوا على الزاد وعادوا بحصيلة كبيرة في شهر رمضان، فلنسع جميعاً ـ ومنذ اليوم ـ لنخلص أنفسنا من عيوبها، وبالإستعانة بتلك الحصيلة وذلك الزاد الذي خرجنا به من شهر رمضان.

إنّ تحقيق ذلك ليس متعذراً، بل هو بمقدورنا وتحت إرادتنا: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ أي أن المجاهدة بالدرجة الأولى تعود بالمنفعة علينا. فلنكتشف الصفات والطبائع السيئة والقبيحة الكامنة في أنفسنا؛ وبالطبع فإن هذا العمل ليس سهلاً، بل هو صعب مستصعب.

ففيما يتعلق بذواتنا، ينبغي أن لا نصاب بالعجب والزهو. علينا أن نشخص عيوبنا ونستحضرها دائماً في أذهاننا، ونسعى للتخلص منها بما تزودنا به في شهر رمضان

من رقة قلب، وإرادة، وصفاء نية، وإخلاص، وطاعات مقبولة.. لنبدأ انطلاقة جديدة نحو الله تعالى.

واعلموا أن الله يأخذ بيد كل من يجاهد في هذا الطريق، وأنه عزّ شأنه سوف لن يترككم وحدكم في مسيرتكم الجهادية نحو الكمال.

وبالطبع فإنكم ستكونون أول من يقطف الثمار الجنية لمجاهدتكم هذه، ولكن المنافع المترتبة على عملية إصلاح النفس ومجاهدتها في سبيل الله ـ والتي تدعى بالجهاد الأكبر ـ لن تنحصر بكم، وإنما ستعمّ خيراتها وبركاتها المجتمع، والدولة، والناس، وتؤثر إيجابياً على الأوضاع السياسية ومجريات الأمور، وتورث العزة على النطاق العالمي، وتزيد الناس تألقاً وشموخاً، وتحسن أوضاعهم الإقتصادية والمعيشية وبالتالي تصلح دنياهم وآخرتهم»[1].

دوافع أعمال الإنسان

كل الحوادث في حياة الشخص المؤمن اختبار، ابتداءً من الحوادث البسيطة التي تواجه المرء في بيته، أو في أجواء عمله، أو مع الأصدقاء، أو في المعاملات اليومية، وانتهاءً بالحوادث المهمة والأعمال المصيرية، وحتى إلى التوقيع النافذ، إلى الكلام المؤثر الذي يصدر من الشخص. هذه كلها اختبارات: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾: هذه خلاصة المطلب.

---

(١) من خطبة له بتاريخ١٧رمضان ١٤١٥هـ.

إنّ أساس الفهم والرؤية الدينية في حياة الإنسان هي أنه إذا نجح في مجموع هذه الإختبارات فنصيبه السعادة والفلاح. أما إذا أخفق فيها ـ لا سمح الله ـ ولم يوفق في اجتيازها، فذلك هو الخسران.

وليس بين الخسران والفلاح سوى لحظة، هي رهينة بإرادة الإنسان ونيته وهمته.

إنّ الدوافع الإنسانية في جميع هذه الأعمال معروضة أمامه بوضوح. بعض هذه الدوافع إلهية ومرّدها إلى رضى الله، وأما بعضها الآخر فلا يعود إلى رضى الله، بل إلى رضى النفس. فإذا كنا ـ أنا وأنت ـ لا نفهم دوافع بعضنا البعض فكل منا يعرف دوافعه الذاتية: هذه قاعدة.

اعملوا في سبيل وانظروا ما تكليفكم، وما يرضي الله عنكم وابذلوا أقصى درجات الحرص لمعرفة الموضوع بحيث لا تضرب تسويلات النفس غشاءً على أبصاركم، لأنكم تعلمون أن التسويلات النفسية في المراحل التمهيدية تسدل على بصر الإنسان غشاوة، إلا أنه قادر على إزاحة هذه الغشاوة من أمام ناظريه ليكون على بيّنة من أمره مع ربه، ولكيلا يقع في مواطن الخطأ. وهذا ممكن للجميع.

﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ هذه آية بينة من القرآن الكريم لا إبهام فيها، فانصروا الله ينصركم.

﴿والذين جاهدوا فينا لندينهم سبلنا﴾ هذه آية مبنية لا تشابه فيها، فإن جاهدتم لله يهديكم السبيل.

هذه الحياة تمر حتى ولو عمر فيها الإنسان خمسين سنة أو سنتين سنة أو سبعين سنة ـ أو أكثر أو أقل ـ وتمضي كخطف البرق. وهذه المسؤوليات تقتضي أسرع من انقضاء الحياة. ولا ينبغي أن يجعل الإنسان انقضاء الحياة كأصلٍ في إزاء تكليفه الشرعي ـ الذي هو أكبر منها ـ فهذه المهمة القصيرة (العمر) ضئيلة أمام التكليف الشرعي[1].

الوحدة

الوحدة في الدين الإسلامي الحنيف أصل أساسي، ابتداءً من الذات المقدسة للباري تعالى ـ التي هي أصل ومظهر الوحدة والوحدانية ـ وصولاً إلى آثار هذه الوحدة، حيث يتجه كل عالم الوجود نحو ذلك المركز العظيم والسامي ﴿كل إليه راجعون﴾، والجميع سائرون نحو الذات المقدسة ﴿إلى الله المصير﴾.

فحركة عالم الخلقة متجهة إلى الباري عزّ شأنه، وفي الرؤية الإسلامية تنحصر حركة وصيرورة الإنسان وبقية الموجودات بالسير نحو الله. أي على الرغم من اختلاف الأصناف والأنواع، والتفاوت الظاهري في الدوافع، وتنوع المواطن الجغرافية، وتباين العناصر المكونة للموجودات، وما تتميز به من تفاوت فيما بينها. وعلى الرغم من كل هذا التنوع الظاهري، إلا أن عالم الخلقة يسير بأجمعه كالقافلة الواحدة نحو غاية واحدة، هي الله تعالى.

---

(١) من خطبة له بتاريخ ١ صفر ١٤١٧هـ

إنّ سعادة كل إنسان رهينة بمعرفته لتلك الغاية، ومطابقة سلوكه الإختياري معها. ويمكن شقاء كل امرئٍ وتعاسته في جهله لتلك الغاية، وعدم التوجه بسلوكه الفردي ومشاعره ومجمل تصرفاته في سياق هذا المسار العام والمتسق والشامل لجميع العالم.

وكانت المهمة الكبرى للأنبياء هي تعريف بني الإنسان بتلك الغاية القصوى والمقصد الأعلى وإرشاده إلى الطريق، وليقولوا إن الصراط المستقيم هو الصراط إلى الله، ويبينوا أن كل القوى الإنسانية التي تحت تصرف الإنسان من عقل ومشاعر وحواس ظاهرية وقدرة ويد ورجل وعين، إضافة إلى ما في الطبيعة من نعم هي أدوات لكي يطوي بها الإنسان هذا الطريق، أي طريق الله وهدف عالم الوجود ـ الذي هو هدف الخلقة نفسه ـ ويسخّر طاقاته ونعم الطبيعة لبلوغ هذا الطريق.

ولهذا فإن كل فعل يصدر من عباد الله الصالحين، من نوم وطعام وتجارة وكلام ورياضة ودراسة وعمل سياسي واجتماعي، أو أي نشاط دنيوي آخر، فهو لأجل هذا الهدف. وبالسير صوب هذا الهدف تتكون حول الإنسان جنة منشؤها انسجام وتجانس مشاعره وإرادته مع المسار الطبيعي لعالم الوجود. وهذه الحياة الإسلامية التوحيدية المعنوية لا يشوبها التناقض والتضاد ولا التصارع والإختلاف.

وقد بعث الأنبياء لأجل هذه الحقيقة، ووضعوا أقدامهم بين الناس ليبينوا لهم أن هذه الإختلافات ظاهرية وسطحية، وكل ما لديكم من إرادة وعين ولسان وثروة وقدرة ومنصب ووعي سياسي وفن وعلم وصناعة وقوة سواعد، من الممكن

وضعها في خدمة هدف عالم الوجود، كالإنسان الذي يسبح مع تيار الماء،ولا يبقى أي أثر للصراع والتباغض والحسد والأحقاد في صدره.

هذه هي الحياة التي أوصانا بها الأنبياء، على العكس مما في حياة الشياطين وأشباه الشياطين، التي يسودها التنازع والتناحر والسباحة ضد تيار عالم الوجود، وفي الإتجاه المعاكس لهدف الخلقة[1].

خصائص الصلاة

إنّ للصلاة ثلاث خصائص رئيسية لها الدور الأساس في تهذيب النفس وتربية الروح:

الأولى: إنّ الصلاة بهيئتها المحددة في الإسلام ـ أي الحركات والأذكار المخصوصة ـ تدعو المصلي بصورة طبيعية إلى الإبتعاد عن الذنب والرذيلة (إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر). هذه الدعوة المستمرة لها القدرة على إنقاذ أي كان من المستنقعات وأن تسمو به.

الثانية: الصلاة تحيي في المصلي روح العبودية والخضوع أمام ساحة الباري تعالى المحبوب الحقيقي والفطري لكل إنسان، وتزيل عن هذه الحقيقة الساطعة المودعة في أعماق فطرته غبار النسيان.

الثالثة: تزرع في قلب المصلي وروحه تلك السكينة وذلك الإطمئنان اللذين يعتبران الشرطين الأساسيين للنجاح في جميع ميادين الحياة، وتبعد عنه التزلزل

(١) من خطبة له بتاريخ٢٥ جمادى الأولى ١٤١٧هـ

والإضطراب اللذين يعتبران مانعاً كبيراً في طريق السعي الجاد في التربية الأخلاقية، وكل واحدة من هذه الخصائص الثلاثة جدير بالتدبر والإمعان لتتضح من خلاله الكثير من معارف الصلاة.

وعندما نرى الصلاة بهذه الخصائص وبتأثيرها الإستثنائي، وسعة دائرتها بحيث أنها تشمل كل المجتمع الإسلامي ـ أي يجب على الجميع أداء الصلاة تحت أي ظروف وفي أي مكان كانوا ـ ولم يخرج أحد عن دائرة هذه الفريضة الإلهية أبداً، فحينها ندرك مدى تأثيرها البالغ في تحقيق السعادة لشعب ومجتمع ما.

والحقيقة أنه متى ما شاعت الصلاة بكل شروطها بين فئة من الناس، فإن هذا الواجب الإلهي بعينه سيرفعهم تدريجياً نحو كل أشكال السعادة وإقامة صرح الدين في حياتهم.

ولا يفوتنا القول إن كل هذه النتائج تتعلق بتلك الصلاة التي تقام بروحها أي مع الإنابة وحضور القلب، فمثل هذه الصلاة تجعل المصلي متناغماً ومتماشياً مع عالم الخلق كله، وتفتح السبيل أمام تطبيق السنن الإلهية في الطبيعة والتاريخ، لأن عالم الخلق كله ـ وفق الرؤية الإسلامية ـ في حالة تسبيح وعبودية للحق تعالى: ﴿يسبح له ما في السموات والأرض﴾.

وصيتي الأكيدة للجميع، ولا سيما للشباب، هي الأنس بالصلاة والإلتذاذ بها، أي أن يقيموا الصلاة مع فهم لمعانيها وشعور بالحضور لدى حضرة الرب المتعال جلّت عظمته، وأن يسهلوا بالممارسة هذا العمل على أنفسهم، ليتمكنوا من الإتيان

بالنوافل، لاسيما نافلتي الصبح والمغرب أيضاً. وإن كان بين الأرحام والأقرباء والأصدقاء من حرم نفسه من فيض الصلاة، فليردعوه عن ارتكاب هذا الذنب الكبير والخسارة العظمى، وليكن ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة[1].

الإعتبار والإتعاظ

إنّ الدين الإسلامي يحث أتباعه دائماً على الإتعاظ بالعبر. فالقرآن الكريم في كثير من آياته يؤكد على هذا المعنى، كقوله تعالى ﴿إنّ في ذلك لعبرة﴾، ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾. وهذا هو درس الحياة الخالد الذي لا يحمل الإنسان على إصلاح أمر معاشه فحسب، وإنما على ضوء هذا الدرس العظيم يكون بمقدور الإنسان أن يعمّر النشأة الأخرى بالإضافة إلى نشأته الأولى.

وكما تعلمون، فإن النشأة الأولى هي الأصل والأساس، فما أن يتوفى الإنسان حتى تبدأ نشأته الأخرى، فإما أن يحيى حياة سعيدة مطمئنة، أو أن يشقى في حياته الأخرى..

بالنسبة إلى الحياة الأخرى وتحصيل ملذاتها الأبدية يجب عليه (الإنسان) أن يستنفر جميع قواه وطاقاته، ويشمّر عن ساعديه للعمل الدؤوب والمستمر.

ويمكن تأمين الجانب الأخروي هذا من خلال الإعتبار والإتعاظ، وقد ورد في (نهج البلاغة) هذا الحديث الذي ينطوي على جانب كبير من الأهمية: «إنّ من

---

(١) من خطبة له بتاريخ١٥ ربيع الثاني ١٤١٦هـ

صرّحت له العبر عما بين يديه من المُثُلات، حجزته التقوى عن تقحّم الشبهات»، أي أن كل من نظر إلى الحوادث والشدائد والبلايا ثم اعتبر واتعظ، فسوف يتجنب كل شيء يوقعه في الفتنة، حتى الشبهات[1].

حب الله تعالى

أعزائي! لتكن صلتكم بالله تعالى وثيقة دائماً وأبداً، لأن الصلة بالله والإندكاك في ذاته المقدسة يعود عليكم بالفائدة والمنفعة في كل شيء، سواءً في حياتكم الشخصية أو السياسية أو.. وعند الممات ويوم القيامة، يوم المثول أمام الباري عزوجل، وعند اللقاء بأولياء الله في جنة الخلد إن شاء الله.

ليكن رائدكم في علاقتكم بالله الصدق والإخلاص. أكثروا من الدعاء، وعاهدوا الله بكل صدق وأمانة. كونوا أوفياء بما عاهدتم عليه ربكم. أنتم شباب ومن الغبن والخسارة أن تتلوث قلوبكم الطاهرة والنورانية بما سوى الله وذكره ومحبته. لتكن الدنيا في أعينكم مجموعة من أسباب للوصول إلى الله لا أكثر؛ فالدنيا بما فيها من أموال وإمكانات وبيت ومعيشة، كلها أسباب لا تستحق أن يتعلق بها قلب الإنسان؛ الذي يستحق التعلق القلبي هو الذات الإلهية المقدسة ومن هو متعلق بها: «اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يوصلني إلى قربك». يجب أن لا تغفلوا عن حب الله وحب أوليائه، لأن كل ما عندكم هو محبة الله.

---

(١) من خطبة له بتاريخ ٢٤ ربيع الثاني ١٤١٦هـ.

على الشباب المسلم في بقاع العالم أن يعوا هذه النقطة جيداً، وهي أنهم سينالون التوفيق الإلهي ما داموا على حب الله.

وهنا بالذات يكمن سر عظمة شخصية الإمام الخميني، الرجل الذي لم يحد عن الصراط المستقيم منذ شبابه وحتى آخر لحظة من حياته الشريفة.. وهذا ببركة تعلقه بالذات المقدسة وحبه لله.

قال تعالى: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ وهذه النعمة لا تتأتى إلا من خلال بركة الإرتباط بالله، وقد منحتكم جبهات الجهاد هذه النعمة فلا بد لكم من المحافظة عليها. لا تقولوا لا نستطيع ذلك. حافظوا على هذه النعمة بالدعاء والتضرع والنوافل والإبتهال إلى الله في آناء الليل، والتوسل إلى سيدنا ومولانا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف[1].

بذكر الله تطمئن القلوب وتستعاد الثقة

... ذكر الله يضيء مشعلاً في قلب الإنسان، ويغمر الأفئدة بالنور، ويمسح عنها غبار الحقد والبغضاء والأنانية، ويمثل مرساة للقلوب المتلاطمة والمضطربة، وبذكر الله يتولد الهدوء وتطمئن القلوب وتستعاد الثقة.

وإن ذكر الله هو دائماً في متناول القلوب الطيبة، ما عدا قلب ابتُلي بداء الخبث، فلن يتيسر له ذكر الله، ولن يكون مثل هذا التوفيق من نصيبه، وسيضل طريقه نحو حريم القدس الإلهي.

---

(١) المصدر السابق.

إنّ القلب الملوث بالشهوة وحب السلطة وكراهية عباد الله، والملوث بالحسد والأنانية والجشع المادي لا يجد طريقه نحو حريم القدس الإلهي إلا إذا تطهر من كل ذلك:

قم تطهر قبل أن تغشى حريم العاشقين

لا تدنّس كعبة الوصل برجس الآثمين

إنّ الطريق إلى حريم قدس الذكر الإلهي مغلق أمام القلوب الملوثة، فلابد لها أن تتطهر من الدنس. ولو كتب للقلب أن يتعطر ويتزين بذكر الله، فسوف تتيسر له الاستجابة الإلهية بلا أدنى شك: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾، فلا دعاء إلا وهو مستجاب. ولا تعني الإستجابة أن يتحقق للإنسان ما يريد على نحو الإطلاق ـ فمن الممكن أن يتحقق له ذلك، ومن الممكن أيضاً أن لا يتحقق نظراً لبعض العلل والمصالح والموجبات ـ ولكن لابد من الإستجابة الإلهية. وهذه الإستجابة الإلهية هي نظر الله تعالى إلينا وعطفه علينا وشفقته بنا حتى ولو لم يتحقق لنا ما نريد، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم. لكن نداء (يا الله) لا بد وأن يستتبع: (لبيك). فلنحاول تعطير قلوبنا وتطهيرها، فما أحوجنا اليوم إلى تطهير القلوب.

إنّ مسؤولياتنا لخطيرة، وقد فرض الله سبحانه وتعالى كل هذه العبادات الثقيلة وهذا السهر المضني في جوف الليل على النبي الأكرم ﷺ، وحثّه على البكاء والتضرع في كافة الميادين بسبب ما يحمل على عاتقه من مسؤولية جسيمة.

إنّ الإنسان بحاجة إلى توثيق علاقته بالله تعالى بقدر ما يتحمل من مسؤولية. ولو استطعنا توثيق صلتنا به سبحانه، لصلحت أمورنا وتمهدت أمامنا السبل واستضاءت أذهاننا وباتت الآفاق واضحة أمامنا. وأما إذا لم نتمكن من حل هذه العقدة فلن تستقيم أمورنا على ما ينبغي. ربما يستطيع الإنسان تحقيق النجاح في بعض الأمور إلا أن الهدف لا ينحصر أبداً بالنجاح في الأمور الدنيوية. فهدف الإنسان المؤمن الموحد يمتد إلى ما وراء عالم الطبيعة والمادة حتى لو كان عالم المادة مقدمة وتمهيداً وصراطاً إلى تلك الأهداف السامية.

إنه لا خيار أمامكم سوى عبور هذا الصراط، لكن لا يجدر بكم التوقف عليه. وإن الأهداف لابد وأن تمتد إلى ما وراء هذا العالم؛ وإننا ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى بلوغ هذه الأهداف.

أعزائي! إن الآية التي تلوتها عليكم في بداية هذا الحديث تتعلق بإحدى غزوات الرسول ﷺ وهي ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ فكان جوابهم: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

وبالطبع ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ لا يتأتى مع العقود والراحة. فليس من المعقول أن نعقد أيدينا على صدورنا، ولا نبذل جهداً، ولا نقوم بحركة، ولا نحمل أرواحنا على أكفنا، ولا نريق ماء وجوهنا، ثم نقول: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾! وليس الله بكافٍ عبده إلا أن يجاهد في سبيله في ساحة النزال.. وكل حركة جيدة تبدر منا، وكل عمل تكون غايته تقوية هذه الحكومة وتقوية الإسلام، فإننا في الواقع نكون قد وجّهنا ضربة للعدو، وعندئذٍ نقول: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾،

ويكون الجواب الإلهي: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾[1].

الحسين عليه السلام لم يتوقف لحظة واحدة!

إنّ التشبه بالعظماء والإنتساب إلى الأولياء هو عمل عقلاء العالم الواعين. كل امرئ يبحث عن أسوة له، لكن التوفيق لا يحالف الجميع في انتهاج منهج الصواب عند البحث عن الأسوة.

البعض يقتدي بشخصيات سياسية وتاريخية وما شابه ذلك، ويتخذها أسوة له. لكن أذكى الناس وأعقلهم هو من يتخذ من أولياء الله قدوة وأسوة له، لأن من أبرز الخصائص التي يتسم بها أولياء الله أنهم على درجة من الشجاعة والقوة والإقتدار بحيث يصبحون أسياداً على أنفسهم لا عبيداً أذلاء لها. ومن الأمثلة على ذلك يوسف وإبراهيم وموسى، وهناك أمثلة متعددة لذلك في حياة أولياء الله. وأذكى الناس وأعقلهم هو من يتخذ العظماء وهذه الشخصيات الشجاعة المقتدرة أسوة، ويكسبون لأنفسهم عن هذا الطريق أسباب الإقتدار والعظمة باطنياً ومعنوياً.

وفيما بين هؤلاء الأولياء والعظماء توجد معالم بارزة ومميزة، ولا شك أن أبا عبد الله الحسين عليه السلام من أبرز هذه المعالم..

يا أعزائي! تارة نجد المرء فاقداً للنعمة فنهديه لتحصيلها، وأخرى تكون النعمة بين يديه فنأمره حينئذٍ بصيانتها وطلب زيادتها.

---

(١) من خطبة له بتاريخ٧ ربيع الثاني ١٤١٢هـ طهران.

تلاحظون أن الإمام الحسين عليه السلام مع كونه سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابن علي أبن أبي طالب عليه السلام وابن فاطمة الزهراء عليها السلام، وهذه الأشياء عظيمة بحد ذاتها وترفع الإنسان كثيراً، إضافة إلى أنه قد نشأ في تلك الدار وتربى في ذلك الحجر، وترعرع في تلك الأجواء المعنوية والنعيم الروحي، لكنه لم يكتف بذلك. فحينما رحل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان الحسين عليه السلام صبياً في الثامنة أو التاسعة من عمره، وعند استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام كان شاباً في السابعة أو الثامنة والثلاثين.

وفي عهد أمير المؤمنين عليه السلام عهد الإبتلاء والجهد والعمل، كان هذا الجوهر المستعد يتلقى التربية والأعمال العظيمة ويتأهل على يد أبيه على الدوام حتى أضحى قوياً ومزهراً ومشرقاً.

إذا كانت همة المرء كهمتنا، تراه يقول: هذا القدر يكفيني، وهو حسبي وبه ألقى ربي! هذه ليست همة حسينية!!

وفي حياة أخيه المباركة حين كان الحسين عليه السلام مأموماً وأخوه الحسن إماماً، استمر في حركته الجبارة، وهو يسير قُدُماً ويؤدي واجباته إلى جانب أخيه، وفي ظل طاعته المطلقة لإمام زمانه. تأملوا حياته لحظة بلحظة.

ثم إنه واجه استشهاد أخيه، واستمرت حياته المباركة بعد هذا الحدث عشر سنوات.. لاحظوا، ماذا كان يفعل الحسين عليه السلام خلال هذه السنوات العشر التي سبقت واقعة الطف. كانت العبادة والتضرع والتوسل والإعتكاف في حرم الرسول، والرياضة المعنوية والروحية أحد أطراف القضية. وطرف آخر كان سعيه الحثيث

في نشر العلم والمعرفة ومجابهة التحريف. وتضمنت القضية طرفاً آخر وهو النهي عن المنكر والأمر بالمعروف في أرفع أشكاله.

تلاحظون هذا الإنسان يأتي بتلك الحركة العظيمة في مجال تهذيب نفسه وترويضها وفي مجال الثقافي أيضاً دأب على مكافحة التحريف ونشر الأحكام الإلهية وتربية التلاميذ والشخصيات الكبار، وعلى الصعيد السياسي أيضاً كان يمارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم تلا كل ذلك جهاده العظيم الذي يتعلق بدوره في الجانب السياسي. فهو مشغول بترويض نفسه على الأصعدة الثلاثة والترقي فيها.

يا أعزائي! إنه قدوة وأسوة؛ وكل هذا يتعلق بالمرحلة التي سبقت واقعة كربلاء.

يجب عدم التوقف لحظة. يجب التقدم والإستمرار. فالعدو يتربص الثغرة ليتسلل. يتحين منكم الوقفة ليهجم[1].

الإيمان الصادق هو النجاح الأعظم

وقع اختياري على إحدى آيات سورة آل عمران المباركة لأتحدث بها معكم ونعيش سوية دقائق معدودة في ظلالها، وهي ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ﴾[2].. ومفادها قول طائفة من أولي الألباب: ربنا إننا سمعنا منادياً يدعونا للإيمان فأجبنا دعوته، وأغلب الظن أنهم حينما يقولون آمنا، لم يكن

(١) من خطبة له بتاريخ٣ شعبان ١٤١٧هـ

(٢) آل عمران: ١٩٣.

مرادهم منه الإيمان القلبي وحسب بل الإيمان بالقلب واللسان والعمل، وهذا بطبيعة الحال له مراتبه أيضاً، فمنه الكامل والأكمل والناقص. (فآمنا) أي أننا آمنا ومضينا في هذا السبيل، فلم نتقبل النظرية فقط، بل سرنا في طريق الإيمان أيضاً. فما الذي كان رجاء هذه الطائفة من الله سبحانه في مقابل هذا الكشف الذي قدموه؟ إنه (فاغفر لنا ذنوبنا)! وإيانا أن نقول: لأي الذنوب نرجو مغفرة الله سبحانه؟! فأنا وأمثالي كلنا زلل وخطأ وذنب.

وعندما يخاطب الباري تعالى نبيه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1]، وعندما ينطلق القرآن الكريم وما ورد في الصحيفة السجادية وغيرها من أدعية، بطلب المغفرة من الله سبحانه لنبيه وأوليائه، حينها يتضح ما عليه حالنا!

فطلب المغفرة يأتي في المقدمة. ﴿وكفر عنا سيئاتنا﴾ وهذا التكفير بمثابة عملية ترميم للأخطاء. ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ أي أجعل مماتنا وانتقالنا من بوابة هذا العالم إلى الملكوت الأعلى مع الأبرار.. فالقضية الأهم هي حسن العاقبة.

إنّ النجاح الأعظم بالنسبة لأي فرد أو جماعة يتمثل في نجاحه بتجسيد هذا الإيمان بصدق، في عمله وسلوكه وحياته.. وإذا صدقنا في طلب ذلك من الله.. أي نلهج بقوله ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا﴾ فحينئذٍ تنطبق هذه الآية بحقنا.[2]

---

(١) الفتح: ٢.

(٢) من خطبة له بتاريخ٢٦ رمضان ١٤٢٢هـ طهران.

الإستقامة شرط النجاح

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾[1].

إنّ هؤلاء يكونون على اتصال بالملكوت الأعلى في دنياهم هذه، حيث يحصلون على معين لا ينضب روحياً وفكرياً ونفسياً فلا يستحوذ عليهم خوف ولا حزن. فالخوف إنما يأتي من الأخطار التي ربما تهدد الإنسان أحياناً، وإذا ما تحرر المرء من الخوف، فحينها يمضي في طريقه ويتقدم نحو هدفه بمزيد من الجرأة والإقتدار، وبروحية عالية، ومن لا يعتريه الحزن لما يفقده فسيحقق نجاحات جمة في هذا الطريق أولاً. ولأن ما يفقده كان في سبيل ما عُهد إليه من واجب وأداء للتكليف الإلهي، فإنه يعيش مطمئن الضمير ثانياً؛ كما هو الحال بالنسبة لعوائل الشهداء الذين استشهد أبناؤهم وفجعوا بهم، لكن قلوبهم عامرة بالسرور..[2].

النسيان آفة الإستقامة

المفردة الأخرى الواردة في القرآن هي (النسيان)، وقد جاءت في القرآن الكريم بألفاظ متعددة. والأشد وقعاً من غيره هو نسيان النفس ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[3].

---

(١) فصلت: ٣٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحشر: ١٩.

نسيان النفس في الأدب السياسي، إنما يعني نسيان الهوية.. بيد أن نسيان النفس على الصعيد الأخلاقي يفوق ما عليه في البعد السياسي أهمية وخطراً، لما يعنيه من غفلة المرء عن هويته والغاية من وجوده، وعن سريرته وقلبه وروحه وتناسيها، أي الإستسلام لتيار مادي فاسد يجرفه نحو مستنقع وحل يفقد فيه الإنسان أي مقاومة حيال مسيرة السوء والفساد والشر.

﴿فأنساهم أنفسهم﴾ أي أن الإنسان يقع ضحية اللامبالاة والتيه بحيث يجهل الهدف من مجيئه إلى الدنيا، شأنه في ذلك شأن الطفل الذي يقضي وطراً من عمره لاهياً لا يفكر بمصيره، ولا أهمية لديه سوى لهذه البرهة الزمنية أو تلك. إننا وبعد هذه الستين أو السبعين عاماً لا محالة ميتون، ولكن ما الذي سيحل بعد ذلك؟ وما كان الهدف من هذه الحياة؟ وما كان الداعي من مجيئنا وبقائنا في هذه الدنيا ومن ثم رواحنا؟ من الخطورة بمكان عدم التفكير والتأمل في ذلك.

﴿أولئك هم الفاسقون﴾. الفسق يعني الإنسلاخ عن الشيء نتيجة فساده وتعفنه، حيث يقال لقشرة (الرطبة) إذا انسلخت عنها (فسقت)، ومنها جاءت كلمة (فِسق) أي انسلاخ الإنسان عن جميع خصاله وعن إيمانه؛ وعليه، فإن النسيان من الآفات التي تهدد الإستقامة.[1]

(١) المصدر السابق.

الزّيغ

(المفردة الأخرى الواردة في القرآن الكريم، وهي تقض مضجعي أحياناً، وهي مفردة (الزيغ). فقد ورد في سورة آل عمران ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[1] أي لا تترك قلوبنا تزيغ وتنحرف عن صراط الحق، إلى الباطل. والقرآن هنا ينقل دعاء عباد الله، ويقول تعالى في سورة الصف بخصوص بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[2].

وكأن في هذه القضية فعلاً وانفعالاً وإقداماً متبادلاً، أحد طرفيه بيد الإنسان نفسه، أما نتائجه وعواقبه فهي بيد الله سبحانه: ﴿فلما زاغوا﴾ أي أنهم خطوا خطوة منحرفة أوقعتهم في منحدر الزيغ، حينها ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ أي أضلّهم الله وأزاحهم عن جادة الصواب؛ وما أدراك ما تعنيه هذه الإزاحة الإلهية!! إنها تعني سلب التوفيق الإلهي.

فالزيغ من قبلهم عبارة عن الإستسلام للأهواء والشهوات والنزوع نحو المادية والثروة والنزوات الجنسية وسائر الأمور التي هي مصدر ويلاتنا، ويقابله من الله سلب رحمته وتسديداته التي كان يغدق بها علينا.

إن أي تحرك خاطئ يصدر منا، وأية خطوة بعيدة عن الصواب والعدالة نقدم عليها، وأي فعل نمارسه ويكون ناجماً عن النوازع والأهواء النفسانية، إنما يسير بنا خطوة نحو الفساد والإبتعاد عن الله سبحانه (أزاغ الله قلوبهم).

---

(١) آل عمران: ٨.

(٢) الصف : ٥

وهذا الإنزلاق إنما يأتي على دفعات؛ وهنا تكمن خطورته! فعاقبة الإنزلاق تضاؤل عمل الإنسان بادئ الأمر، ثم تأخذ أخلاقه وسجاياه بالإهتزاز والتأثر، ويتحول من كان صادقاً وفياً ذا شعور بالمسؤولية إلى إنسان متذبذب عديم الوفاء وغير مسؤول، تدريجياً؛ ويطال التبدل أخلاقه أيضاً. وفي المرحلة اللاحقة يبدأ التبدل في عقائد الإنسان، وهذا الفساد الذي كنا ننظر إليه يوماً بعين الإحتقار، يأخذ بتغيير هويتنا وتدمير أخلاقنا شيئاً فشيئاً. يقول تعالى في إحدى آيات القرآن الكريم: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إلى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾[1].

هذه هي المعادلة التي يعتمدها الباري تعالى في تعامله مع الإنسان، أي أنها ـ في واقع الأمر ـ منوطة بأعمالنا، فنحن من خلال أعمالنا نحول دون أن تشملنا الرحمة الإلهية، ولئن حُرمنا الرحمة الإلهية، فسوف ندنو أكثر فأكثر نحو الفساد والضلال. إننا نقرأ في الدعاء: ﴿اللهم إني أسألك موجبات رحمتك﴾ فالإنسان يسأل الله موجبات رحمته، ومن الطبيعي أن لا تنزل علينا الرحمة الإلهية إن فقدت هذه الموجبات من أعمالنا؛ وهذا هو الزيغ[2].

ذكر الله علاج الآفات

ولكن ما هو علاج ذلك (ما تقدم في الكلمات الثلاثة السابقة من آفات)؟ وما الذي علينا فعله؟

---

(١) التوبة: ٧٧.

(٢) المصدر السابق.

ما نشاهده في القرآن الكريم هو ما يعاكس تلك الآفات بالضبط: إنه الذكر. وهو لا ينحصر في الأوراد وما شابهها، فهي إحدى وسائل الذكر الذي يعني ذكر الله وذكر التكليف، والنعمة الإلهية ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[1]، ولو تمعنتم جيداً في القرآن الكريم لوجدتم أن الإشارة وردت في مواطن متعددة إلى (ذكر نعمة الله).

نعمة الله ليست بأجمعها المأكل والمشرب وما إلى ذلك... بل لله نعم عظمى على بني الإنسان ـ ومنهم نحن ـ علينا تذكرها. ومنها (أي أنواع الذكر) ذكر التكليف.. ذكر العهد والميثاق.. فلنتذكر عهدنا وميثاقنا، وإيانا ونكث العهد، ولنتذكر يوم الحساب والقيام بين يدي الله. فالحياة عابرة ومسؤوليتها أقصر منها، وسنقف جميعاً بين يدي رب العالمين، وحينها يتعين علينا تقديم ما بجعبتنا من جواب! فلنتذكر ذلك أيضاً[2].

الركون إلى الدنيا

إنّ علي بن إبراهيم عن أبيه، عن أبن محبوب، عن بعض أصحابه، عن ابن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«فيما ناجى الله عزوجل به موسى عليه السلام: يا موسى لا تركن إلى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها أباً وأماً: يا موسى لو وكلتك إلى نفسك لتنظر لها إذاً لغلب

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) المصدر السابق.

عليك حب الدنيا وزهرتها. يا موسى نافس في الخير أهله واستبقهم إليه، فإن الخير كإسمه. واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه ولا تنظر عينك إلى كل مفتون بها وموكل إلى نفسه، واعلم أن كل فتنة بدؤها حب الدنيا، ولا تغبط أحداً بكثرة المال فإن مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق، ولا تغبطنّ أحداً برضى الناس عنه، حتى تعلم أن الله راضٍ عنه، ولا تغبطنّ مخلوقاً بطاعة الناس له فإن طاعة الناس له وإتباعهم إياه على غير الحق هلاك له ولمن اتبعه».

قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **فيما ناجى الله عز وجلّ به موسى** عليه السلام يتضح من هنا أن الباري عز شأنه بصدد بيان أسمى الحقائق والحكم لنبيه العظيم؛ ولذلك عبّر في الحديث بلفظ (ناجى) ولم يقل (أوحى). فلعل في التعبير بلفظة (ناجى) قرينة على ما قلناه من أن الله تعالى شاء أن يبيّن مواضيع هامة جداً لموسى عليه السلام عن طريق النجوى.

«**يا موسى لا تركن إلى الدنيا ركون الظالمين**» ويراد بالركون الميل القلبي والتعلق الروحي: أي أنه لو لم يكن التعلق بالدنيا لما ظلم الإنسان عباد الله ولما عذّبهم وآذاهم، فالظلم هو ذروة التعلق بالدنيا والركون إليها.

«**ركون من اتخذها أباً وأماً**» أي كالذي جعل الدنيا همه الوحيد وشغله الشاغل بحيث أنه لا يفكر في شيء سواها كالطفل يلجأ إلى أبيه وأمه يتعلق بهما ولا يفكر بأحد غيرهما.

«**يا موسى لو وكلتك إلى نفسك لتنظر لها إذاً لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها**» وقوله (لتنظر لها) غير (لتنظر إليها) فالنظر إلى الدنيا ليس مذموماً، وإنما المذموم هو (النظر للدنيا) أي التفكير بالدنيا.

وهنا أود الإشارة إلى هذه النقطة وهي: أن المراد بالدنيا في هذا الحديث والأحاديث المشابهة له ليس الأرض وما يتعلق بها ولا العمران أو الإنشغال بأمور الناس أو ما شاكل، بل المراد من الدنيا هو مظاهرها: كالمال والجاه والمنصب والتي يجهد الناس أنفسهم للحصول عليها.

إذاً كل ما على الأرض من نعم وطيبات وجمال تصبوا إليها النفس الإنسانية يعبّر عنه في لسان الروايات والأحاديث بـ (الدنيا) وبالطبع فهي دنيا مذمومة.

ومن الواضح أن الإنسان كلما ازداد تفكيره بالدنيا وانشغل بها أكثر ازداد رغبة وتعلقاً بها، وازداد شوقه إليها. وإذا أعرض عن الدنيا فسيقل حبه لها بالتدريج. وليس المقصود من هذه الرواية وأمثالها أن يقعد الإنسان عن العمل والجد ويقبع في زاوية بيته، كما تصور البعض هذا المعنى المغلوط ولسنوات ـ ومنهم لقرون ـ متمادية، فنهج نهجاً خاطئاً واختار العزلة والإنزواء بعيداً عن صخب الحياة وميادين العمل والجد والإجتهاد، ناسباً هذا اللون الخاطئ من الفهم للإسلام، إذاً المراد بالدنيا ليس هذا المعنى المغلوط.

«**يا موسى نافس في الخير أهله واستبقهم إليه فإن الخير كإسمه**»؛ أي أن معاني الخير ومصاديقه هي كأسمه جميلة ومرضية، ويبدو أن المقصود من الخير الأعمال الصالحة ذات الطابع العام من قبيل الإحسان إلى المؤمنين ومساعدة الأخوان والإتحاد وعبادة الله تعالى والزهد في الدنيا وغير ذلك من الصفات الحميدة.

ويأتي لفظ الخير بمعنى أفعل التفضيل ويدل على الأفضلية؛ وبذلك يكون معنى الحديث: أن أفعال الخير كإسمه أفضل من أي شيء آخر. فإذا قام أحدكم بعيادة مريض أو أسدى خدمة إلى مؤمن، أو تعاون مع الآخرين لإنجاز أمر من الأمور، أو طلب علماً، أو أعرض عن الدنيا وزخارفها أو جاهد في سبيل الله أو عبده عزوجل، كل هذه الأعمال هي أعمال خير، وهي أفضل من أي شيء آخر يمكن أن يخطر على بال الإنسان، من قبيل المال والولد والجاه والمنصب وما شاكل من أمور مادية ودنيوية.

«**واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه ولا تنظر عينكإلى كل مفتون بها**» ؛ إما أن نعتبر (عين) فاعل أي امنع عينك من أن تنظر وترى، أو بمعنى لا ترى عينك ولا تعرض عليها، أو أن تكون كلمة (عينك) منصوبة بنزع الخافض لـ (لا تنظر بعينك).

«**واعلم أن كل فتنة بدؤها حب الدنيا**» أي أن منشأ الفتن هو حب الدنيا. وهذه الحقيقة تؤيدها وتسندها الشواهد التاريخية، فأينما تجد فتنة أو ضلالاً أو خلطاً بين الحق والباطل فستجد أن أساس ومنشأ ذلك كله هو حب الدنيا والجاه.

«**ولا تغبط أحداً بكثرة المال**» وهذه من موارد الإبتلاء الموجودة في مجتمعنا عند ذوي النفوس الضعيفة.

«**فإن مع كثرة المال تكثر الذنوب لواجب الحقوق**» أي عندما تكثر أموال المرء تكثر الحقوق التي عليه مما يؤدي إلى كثرة الذنوب؛ فيتضح من ذلك أن الحقوق

والواجبات إذا كثرت فإن الإنسان سيعجز عن تأديتها، ولو لم يكن ليعجز عن تأديتها لما ترتب عليه ذنب من الذنوب.

هذا إذا كان المال قد اكتسب من الحلال، ولو كان عن طريق الحرام فإن الوضع سيسوء أكثر فأكثر. ويحتمل أن الحديث يشير إلى خصوص كثرة المال عن حرام، أي أن الإنسان عندما يحصل على المال عن طريق الحرام فإنه لابد وأن يكون قد ضيّع حقوقاً كثيرة.

«ولا تغبطنّ أحداً برضى الناس عنه حتى تعلم أن الله راضٍ عنه».

فإذا رأيت الناس قد اجتمعوا حول شخص ما وأخذوا يهتفون له ويتوددون إليه فلا تغبطه ما دمت لا تدري هل الله راضٍ عنه أو لا، فما يدريك لعل في باطنه ـ لا سمح الله ـ ما يوجب غضب الباري عزوجل عليه، وحينئذٍ لا ينفعه رضى الناس حتى ولو كان رضى الناس حقيقياً.

«ولا تغبطنّ مخلوقاً بطاعة الناس له فإن طاعة الناس له وإتباعهم إياه على غير الحق هلاكله ولمن اتبعه».

أرجو العلي القدير وأسأله بحرمة المعصومين عليهم السلام أن لا يجعلنا من التابعين ولا من المتبوعين على غير الحق.

والسبب في اختياري لهذه الرواية بالذات هي أن مجتمعنا اليوم يمر في ظروف أرى من الضروري فيها أن نقرأ عليه روايات عن الزهد ـ وفي نهج البلاغة هناك

الكثير من الروايات والخطب في خصوص الزهد ـ، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن الزهد هو أسمى التكاليف والواجبات ولا أحسنها، ففي بعض الأحيان يكون الزهد أفضل وأسمى وفي بعض الأحيان يكون الجهاد أو العبادة أو طلب العلم هو الأفضل والأسمى.

الظروف والأوضاع هي التي تحدد لنا متى يكون الزهد أفضل وأعلى درجة من غيره من الواجبات. ويبدو أنه يجب علينا في الوقت الراهن أن ندعو الناس والمجتمع إلى الزهد؛ وذلك لأن المجتمع يتجه باتجاه المال ولأن الثروة في ازدياد مطّرد؛ بحيث إنه لو كان هناك أناس من أهل الدنيا فإن بمقدورهم أن يجمعوا الثروة بطرق متعددة وعلى غير حق. وحتى لو أنهم انهمكوا في جمع المال والثروة عن طريق الحلال فسيفتنون بالدنيا وتسوء عاقبتهم بسوء الإفتتان؛ خاصة في الحوزات العلمية والمجالات التي يشغلها المعمّمون وعلماء الدين وطلبة العلوم الدينية.[1]

الصوم نعمة إلهية

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[2]. تتحدث الآية الشريفة عن مسألة الصوم، وأن هذه الفريضة الإلهية كُتبت أيضاً على الأمم التي سبقت الأمة الإسلامية. هذا الصوم الذي نتحدث عنه بصفته تكليفاً إلهياً، يعتبر في الحقيقة نعمة إلهية وفرصة ثمينة جداً لمن يوفقون

(١) من خطبة له بتاريخ ٩ ربيع الثاني ١٤١٦هـ

(٢) البقرة: ١٨٣.

للصوم، وهو لا يخلو من المصاعب طبعاً، بل إن جميع الأعمال المباركة والمفيدة لا تخلو من المصاعب؛ والإنسان بدون تحمل المصاعب لا يصل إلى الغاية المنشودة. وهذا القدر من المصاعب التي تواجه الإنسان أثناء الصيام لا تكاد تمثل شيئاً ذا بال في مقابل ما يعود عليه بالنفع؛ وذلك لأنه ينفق القليل ويحصل على الكثير.

ذكروا للصوم ثلاث مراتب وكلها مفيدة لمن هم أهل لها.. الأولى منها هي مرتبة الصوم العام بما يعنيه من الإمتناع عن الطعام والشراب وسائر المفطرات. ولو كان الصوم لا يعني إلا الإمساك عن هذه الأمور، لكانت فيه منافع كثيرة؛ لأنه بمثابة تعليم لنا، ولنا فيه درس وتمرين وممارسة واختبار، وهو بمثابة رياضة تفوق في فائدتها الرياضة الجسمية. وقد وردت عن الأئمة عليهم السلام روايات تتحدث عن هذه المرتبة من الصيام.

فهناك رواية منقولة عن الإمام الصادق عليه السلام يعلل فيها الصوم بقوله: «**ليستوي به الغني والفقير**»؛ على اعتبار أن الفقير لا يستطيع الحصول على كل ما تشتهيه نفسه من الأطعمة والأشربة طوال اليوم، بينما الغني يستطيع الحصول على كل ما لذّ وطاب. ومن الطبيعي أن الغني لا يدرك حالة الفقير وعدم قدرته على توفير كل ما تشتهيه نفسه. أما عند الصوم فيصبح وإياه على حد سواء ويتحرر كلاهما من المشتهيات النفسية باختيارهما.

ووردت عن الإمام الرضا عليه السلام رواية أخرى يشير فيها إلى نكتة أخرى، حيث يقول: «**لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش فيستدلوا على فقر الآخرة**»؛ إذ أن من جملة

الإبتلاءات التي يواجهها الإنسان في يوم القيامة هي الجوع والعطش. وهكذا يجب عليه مكابدة جوع وعطش شهر رمضان ليعرف حالة يوم القيامة ويتنبه إلى صعوبة تلك اللحظة العسيرة.

وهناك أيضاً رواية عن الإمام الرضا عليه السلام تعني ببعد آخر من أبعاد الصيام وهو بعد الجوع والعطش، يقول عليه السلام فيها: «**صابراً لما أصابه من الجوع والعطش**»؛ أي أن الصوم يمنح الإنسان القدرة على الصبر على تحمل الجوع والعطش. فالأشخاص الذين يتربون في ظل حياة مترفة لا يذوقون فيها الجوع والعطش ليس لديهم قدرة على الصبر والتحمل، ويهزمون سريعاً في الكثير من الميادين، وتسحقهم عجلة الحياة وشدائدها وتجاربها بكل سهولة؛ أما الإنسان الذي ذاق طعم الجوع والعطش فهو يعرف معنى هذه الأمور ويتحلى بالقدرة على تحمل الشدائد التي قد تعرض له عن هذا الطريق. وشهر رمضان يمنح الجميع هذا الصبر وهذه القدرة على التحمل.

ووردت في هذا الميدان أيضاً رواية أخرى عن الإمام الرضا عليه السلام، ولعل هذه الجمل تشكل عدة فقرات من حيث واحد، فهو يقول في وصف شهر رمضان: «**ورائضاً لهم على أداء ما كلفّهم**»؛ أي أن تحمل الجوع والعطش في شهر رمضان يعدّ نوعاً من الرياضة التي تجعل الإنسان قادراً على تأدية شتى تكاليف الحياة. والمراد هنا طبعاً هو الرياضة الشرعية والرياضة الإلهية والرياضة الإختيارية؛ إذ أن من جملة الأمور التي تمكّن الإنسان من طي السبل العسيرة في الحياة هي الرياضة الروحية التي يلتجئ إليها الكثيرون وهي رياضة شرعية طبعاً.

وعلى هذا، نفهم من الأحاديث الآنف ذكرها أن هذه المرتبة من الصيام، أي مرتبة تحمل الجوع والعطش، تخلق لدى الأغنياء شعوراً بالمساواة مع الفقراء، وتذكّر الإنسان بجوع يوم القيامة، وتعودّه على الصبر وتحمل الشدائد، كما أن الصوم بصفته رياضة إلهية يعلّم الإنسان الصبر على أداء التكاليف. هذه الفوائد موجودة كلها في هذه المرتبة. علاوة على أن خلّو البطن من الطعام واجتناب الأعمال المباحة في سائر الأيام يزود الإنسان بنورانية وصفاء ونقاء، وهو ما ينبغي اغتنامه.

المرتبة الثانية من مراتب الصوم هي الورع عن المحارم، أي أن يحفظ الإنسان أذنه وعينه ولسانه وقلبه وحتى جلده وشعره ـ كما جاء في بعض الروايات ـ عن اقتراف المآثم. فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال «**الصيام اجتناب المحارم كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب**». وهذه مرتبة أخرى من مراتب الصوم أكثر رفعة من الأولى. إذاً، فرصة شهر رمضان ثمينة يجب اغتنامها للتمرين على ترك المآثم.. كثيراً ما يطلب مني بعض الشباب أثناء مراجعتهم لي أن أدعو لهم لكي يستطيعوا جبّ أنفسهم عن المعاصي. ولاشك في أن الدعاء أمر جيد ولازم، بيد أن التورع عن اقتراف الذنوب يستلزم إرادة لدى الإنسان، حيث يجب عليه أن يعزم على ترك الذنب، وحينما يعزم المرء يصبح هذا العمل سهلاً جداً؛ فاجتناب المعاصي يبدو أمام نظر الإنسان وكأنه جبل، ولكنه يبدو بعد العزم وكأنه أرض منبسطة. وشهر رمضان أفضل فرصة للتمرن على هذا العمل.

وردت في هذا المجال رواية أخرى منقولة عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، وهي أنها قالت: «**ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه؟!**».

ويروى أن امرأة أهانت خادمتها، ويبدو أنهما كانتا تجاوران الرسول ﷺ أو كانتا معه في سفر. وكان بيد الرسول ﷺ طعام، فقدمه لها وقال لها: (كُلي)، قالت: أنا صائمة، فقال لها: «**كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك؟! إنّ الصوم ليس من الطعام والشراب، وإنما جعل الله ذلك حجاباً عن سواهما من الفواحش من الفعل والقول**». أي أن الله تعالى أراد من الإنسان اجتناب الذنوب والمعاصي والآثام.. ومن جملة الآثام هي التي يقترفها اللسان وإهانة الآخرين والإساءة إليهم. ومنها أيضاً الآثام القلبية، أي شحن القلب بالحقد والكراهية للآخرين، فبعض الآثام يصدق عليها معنى الإصطلاح الشرعي، والبعض الآخر منها أخلاقي ولها مراتب شتى.

إذاً، فالمرتبة الثانية من الصوم هي الورع عن اقتراف الذنوب والآثام والمعاصي، وإني أوصي الشباب خاصة باغتنام هذه الفرصة، فالشاب لديه القدرة من جهة، ويتصف بصفاء القلب ونورانيته من جهة أخرى.

اغتنموا هذه الفرصة طوال مدة شهر رمضان، ومرّنوا أنفسكم على اجتناب الذنوب، وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب الصوم.

أما المرتبة الثالثة من مراتب الصوم فهي اجتناب كل ما يجعل فكر ووجدان الإنسان غافلاً عن ذكر الله. وهذه هي تلك المرتبة السامية التي وردت في حديث المعراج عن الصوم؛ حيث يروى أن رسول الله ﷺ قال لربّه (جلت عظمته) : (يارب، وما ميراث الصوم؟) قال: «**الصوم يورث الحكمة والحكمة تورث المعرفة والمعرفة تورث اليقين، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح بعسر أم بيسر**».

واليقين هو ما طلبه النبي إبراهيم من ربه، وورد ذكره في مواضع متكررة وعديدة من أدعية هذا الشهر. وعندما يكون للإنسان يقين، تهون عليه كل مصاعب الحياة، ويكون في وضع لا تغلبه فيه حوادث الدهر. لاحظوا مدى أهمية هذا الأمر؛ فالإنسان الذي يروم طي سبيل العلو والتكامل في سنوات حياته، وليصبح على درجة من الصلابة بحيث لا تقهره عوادي الزمن، يمكنه اكتساب هذا كله من اليقين، وهذا كله ناجم عن الصوم. فإذا أحيا الصوم ذكر الله في قلب المرء، وأضاء فيه نور معرفة الله، تأتي هذه الأمور كلها تبعاً له؛وكل ما يؤدي به إلى الغفلة عن ذكر الله يضمحل على أثر الصوم. فهنيئاً لمن يستطيعون بلوغ هذه المرتبة. وما علينا إلا أن ندعوا الله ونسأله ونصمم على إيصال أنفسنا إلى هذه المرتبة.

اللهم إنا نسألك بحق محمد وآل محمد أن تجعلنا ممن أخلص لك الصيام، ووفّقنا لبلوغ الدرجات العليا للصيام، ومنّ علينا بجميع البركات التي جعلتها لهذه الفريضة»[1].

وله الحمد أولاً وآخراً

(١) من خطبة له بتاريخ٨ رمضان ١٤٢٠هـ طهران.

فهرس الكتاب

المقدمة ٣
الله ملاذنا ٦
تضحية الجرحى ٦
الأجر الجزيل ٧
إذا صلح الناس صلحت حياتهم وحسنت ٧
العلاقة مع الله منشأ الخيرات ٨
طريق الله قريب المسافة ٨
السيطرة على الأهواء النفسية أسهل في شهر رمضان ١٠
يجب علينا أن نؤدي تكليفنا ١٠
إصلاح النفس ضروري ١١
الصيام سلّم إلى التقوى ١١
ببركة الدعاء ينشط المجتمع ١٣
شهر رمضان فرصة عروج روح الإنسان وتكاملها ١٣
أدعية شهر رمضان تمنح الإنسان نورانية مضاعفة ١٤
فلنسعى كي نبتعد عن المعاصي ١٤
التكبر قاطع طريق الكمال ١٥
من الممكن حتى للإنسان العابد أن يتكبر! ١٦
القدم الأولى في السفر المعنوي ١٧
أنانية أبناء البشر منشأ جميع المفاسد في العالم ١٧

مع كل تلك القدرة، كان سيلمان خاضعاً لله!..... ١٨
الإستغناء أساس طغيان الإنسان ١٨
عدم التوجه إلى روح العبادة يؤدي إلى التحجر ١٩
فلنسعَى كي نحيي روح العبودية في نفوسنا ١٩
إنّ حصلّتم ثمرة ما في شهر رمضان فاحفظوها ٢٠
الإعتماد على الله ٢٠
ينبغي أن لا نضيّع أي لحظة من أجل طلب المغفرة..... ٢١
شهر رمضان فرصة استثنائية..... ٢٢
العبودية هي شرط التكامل الحقيقي..... ٢٢
إصلاح النفس نقطة البداية لإصلاح العالم..... ٢٣
يجب علينا أن نصلح أنفسنا أولاً..... ٢٤
الحكام المتظاهرون بالإنسانية..... ٢٥
الملجأ الوحيد هو ذكر الله والتوكل عليه ٢٥
تكليفنا جميعاً هو حفظ العلاقة والإرتباط مع الله ٢٥
فلسفة تضحية الإمام الحسين عليه السلام..... ٢٦
البشرية دوماً ألعوبة بيد الشيطان ٢٦
الإيمان بالغيب..... ٢٨
الحكمة بصيرة تخترق حجب المادة..... ٢٩
من يجعل الشرع رائده يصل إلى النصر ٣٠
الإيمان والتعبد هو ما يميزكم عن الجيوش العالمية الأخرى..... ٣١

احفظوا جهوزيتكم المعنوية والإيمانية ٣٢
ليكن لنا في أعمالنا نية حسنة وخالصة ٣٣
في طريق الله لا معنى للتوقف أو التعب أو الهزيمة ٣٤
نفس الإنسان أعدى أعدائه ٣٤
إننا سنحاكم أمام الله والتاريخ ٣٥
المناجاة الشعبانية ٣٦
بناء الإنسان ٣٧
التقوى شرط التوفيق في كل مسير ٣٨
التقوى والمسؤولية ٣٩
انعدام التقوى هو في إتباع الهوى ٤٠
حمل التكليف ٤٠
سر عمل الإمام ٤١
عمل السوء قد يطيح بأصل الإيمان أحياناً! ٤٣
الله يمن علينا جميعاً أن هدانا ٤٤
اغتنموا أيام شهر رمضان وأحكموا عقدكم مع الله ٤٥
الإخلاص جوهر وروح أعمال أمير المؤمنين عليه السلام ٤٦
يجب أن نأخذ العبرة من إخلاص أمير المؤمنين عليه السلام ٤٦
التضحية والفداء ٤٧
القاطعية والصلابة في طريق الحق ٤٧
التحرك نحو الحياة الإسلامية الطيبة أمر أساسي ٤٨

اللذة المعنوية هي أعلى اللذات ٤٩
دوام الإحساس باللذة المعنوية هو هدف الإسلام ٥٠
من اللازم الحد من كماليات الحياة ٥١
تبديل النعمة ٥١
ينبغي أن لا نغفل عن الله ٥٢
الحاجة إلى التقوى ٥٢
ينبغي أن لا ننسى! ٥٣
شكر النعمة ٥٣
فوز الإنسان مرهون بالعمل بقواعد الحكمة الإلهية ٥٤
أذكروا الله واتقوه ٥٤
تبعية النبي ﷺ ٥٥
المشهد الأول من حياة النبي ﷺ ٥٥
المشهد الثاني من حياة النبي ﷺ ٥٦
المشهد الثالث من حياة النبي ﷺ ٥٩
الثورة هي لأجل تغيير القيم في المجتمع ٦٠
الجهاد الأكبر هو تكليفنا ٦٠
صفعات الأنانية ٦١
ضرر العالِم أشد وأخطر ٦٢
الهدف الأرفع للثورة هو تزكية الإنسان ٦٣
وجودنا منبع جميع الشرور والخيرات ٦٣

الطلبة الجامعيون وبناء النفس ٦٤
بالإخلاص ترافقنا البركات الإلهية ٦٤
طمع الشيطان ٦٥
كسب رضى الله ٦٦
الفارق بين الصلاح والفساد ٦٧
الاتكال على الله ٦٧
الإنسان في معرض الإختبار دوماً ٦٨
طاعة الله والرسول سبب للحياة والعزة ٦٩
ازدادوا أنساً بالله ٧٠
بالمحبة يمكن الوصول إلى أرفع درجات المعرفة ٧٠
المحبة الواقعية هي السير على خطى أمير المؤمنين ٧١
خصال علي عليه السلام ٧٢
آثار خصال أمير المؤمنين عليه السلام ٧٣
عمل أمير المؤمنين ٧٤
الأنس بالقرآن ٧٤
المحبة تفعّل الإيمان ٧٥
الأبعاد الدنيوية لمسؤولياتنا لا تستهوينا! ٧٥
نحن لا نعمل لأجل النتائج ٧٦
الإستعداد للخدمة ٧٦
لولا التكليف! ٧٨

الصدق والإخلاص ٧٩
الجهاد والمحنة سببان للذة المعنوية ٧٩
لإرادتنا دور في صناعة المستقبل ٨٠
الشهادة ٨٠
حقيقة كل إنسان ٨١
الشهادة موت الذكي العاقل ٨١
الشهادة أعلى أجور الجهاد ٨٣
سر التوفيق ٨٣
صعوبة حفظ النعمة واستمرارها ٨٤
لا تنزعوا بُغض الشياطين وأتباعهم من قلوبكم أبداً ٨٥
يجب أن نوجد تحولاً وتبدلاً في قلوبنا ٨٦
روحية العمل والسعي ٨٧
حب الجميع ٨٧
اللحظات والساعات العصيبة ٨٨
ملاحظة التكليف دوماً ٨٨
جميعنا مسؤولون ٨٩
قصد القيام لله ٩٠
حقيقة سعينا ومقصدنا ٩١
حكومة الصالحين ٩١
المراقبة والصلاح ٩٢

الهدف ٩٣
القرآن الكريم ٩٤
البعثة ٩٤
الأهداف المعنوية ٩٤
كسب رضى الله وأداء التكليف ٩٦
الإنقطاع إلى الله علّة الشهادة ٩٧
سر نجاح الإمام قدس سره ٩٩
تقوية الإرتباط بالله ٩٩
الصحيفة السجادية ١٠٠
العلاقة مع إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ١٠٠
الثقة والأمل بالمستقبل بعد من أبعاد الإنتظار ١٠١
علاج المسلمين بالعودة إلى القرآن ١٠٢
خصال لعلي عليه السلام ١٠٤
البشرية بحاجة إلى خصال علي عليه السلام ١٠٨
وألزمهم كلمة التقوى ١٠٩
التقوى وسيلة وأسلوب للعلاج ١٠٩
التكبر وعلاجه ١١٠
الأبعاد المختلفة للحج ١١١
التوكل على الله سبب القوة ١١١
أفضل المواعظ في كلام أولياء الله ١١٢

هوى النفس الخطر الأساس ١١٤
الآثار المترتبة على التقوى ١١٥
الذخيرة المعنوية ١١٦
الشكر لله سبحانه أولاً ١١٧
اجعلوا الله نصب أعينكم ١١٨
الصلاة أسمى مصاديق الذكر ١١٩
بعثة الأنبياء ١٢١
مراتب المراقبة ١٢١
شهر رمضان ١٢٢
شهر رجب والإرتباط بالله ١٢٣
الحج علاج لتهديدات البشرية ١٢٣
دور الأخلاق في كافة الشؤون ١٢٥
الإيمان الواعي سر الإنتصار ١٢٥
الهدف إعلاء كلمة الله ١٢٦
اليأس مرفوض في الإسلام ١٢٦
الإستكبار ١٢٧
لا تغفلوا عن التهذيب والتزكية الروحية والقلبية ١٢٨
كل الخيرات مترتبة على التقوى ١٢٩
شهداء البحر ١٣٠
بناء الذات أعظم درس في شهر رمضان ١٣٠

معرفة حدود القانون والإلتزام بها من أعظم المسؤوليات ١٣٢
عيد الفطر منطلق للوحدة والعودة إلى الذات ١٣٢
صيانة القرآن من فعل الله وتدبيره ١٣٣
معرفة ألفاظ القرآن وظواهره ١٣٣
معنى المعصية وأثرها ١٣٤
يجب على المرء مراقبة ذاته ١٣٦
الملاك هو رضى الله وأداء التكليف ١٣٧
الجهاد الأكبر ١٣٨
لا عزة بدون الجهاد ١٣٩
التذكر والإيمان بالغيب ١٣٩
عيد الفطر والجهاد الأكبر ١٤١
دوافع أعمال الإنسان ١٤٢
الوحدة ١٤٤
خصائص الصلاة ١٤٦
الإعتبار والإتعاظ ١٤٨
حب الله تعالى ١٤٩
بذكر الله تطمئن القلوب وتستعاد الثقة ١٥٠
الحسين عليه السلام لم يتوقف لحظة واحدة! ١٥٣
الإيمان الصادق هو النجاح الأعظم ١٥٥
الإستقامة شرط النجاح ١٥٧

النسيان آفة الإستقامة ١٥٧
الزّيغ ١٥٩
ذكر الله علاج الآفات..... ١٦٠
الركون إلى الدنيا ١٦١
«ركون من اتخذها أباً وأماً» ١٦٢
الصوم نعمة إلهية ١٦٦
وله الحمد أولاً وآخراً..... ١٧١
فهرس الكتاب ١٧٢